الفصل السادس

الفروق الفردية فى الناحية السلوكية

- معنى السلوك محدداته - ومكوناته
- أثر الغدد فى الفروق الفردية وأنعكاسه على السلوك
- السلوك والاتجاهات وآثار البلوغ فيها
- خصائص السلوك
- الأسس البيولوجية والنفسية للسلوك
- أثر الوراثة والبيئة في السلوك
- السلوك الشخصى والاجتماعى فى الطفولة الوسطى والمتأخرة
- اضطرابات السلوك الأولية
- العجز الوراثى والمكتسب عن اتباع السلوك القائم عن العقل
- نظريات تفسير السلوك
- العقد النفسية وأثرها على السلوك
- العلاقة بين الذكاء والسلوك
- الفروق الفردية فى الناحية السلوكية.

الفصل السادس

الفروق الفردية في الناحية السلوكية

وأثر البيئة والوراثة فيها

من الأمور المألوفة أن يهتم الإنسان العادى فى معاملاته مع غيره من الناس أن يفهم دوافع سلوكهم وإتجاهاتهم وتصرفاتهم المحتملة فى المواقف المختلفة فنحن جميعا بحاجة إلى أن نحدد معاملاتنا مع غيرنا من الأفراد وبحسب ما نتوقع من قبولهم ورضاهم أو عدم قبولهم وسخطهم على ما تفعل أو ما تقول فالصديق يحاول أن يفهم ما يرضى صديقه وما يؤلمه فيعدل سلوكه بحسب معرفته هذه والبائع يحاول أن يجذب عميله بما يعرفه من صفاته وشخصيته فيحاول أن يؤثر فيه ليقبل على شراء بضاعته والعميل بالمثل يكون فكرة عن البائع الذى يتعامل معه ويحاول بناءً على هذه الفكرة أن يتم ما يعقده معه من صفقات بأفضل الشروط وهكذا نجد أنه حينما يجتمع الإنسان بالإنسان فإن العلاقات الإنسانية ومشكلات السلوك تصبح ذات أهمية.

وخلاصة القول فى هذا الصدد هى أن اتجاهات الدراسة فى الطبيعة الإنسانية والسلوك قد اختلفت صورها وتنوعت طرقها وكان من نتيجة ذلك أنه تعددت وجهات النظر فى علم النفس فى أواخر القرن الماضى ومطلع القرن الحالى وتبلورت فى بداية هذا القرن فأصبحت كل وجهة نظر تتمثل فى مدرسة فى علم النفس محددة المعالم، وكان لكل مدرسة مسلماتها ونظرياتها وتجاربها وأتباعها وكانت الكتابات السيكولوچية فى تلك الفترة تزخر بالمسجلات بين تلك النظريات ووجهات النظر.

إن التراث السكولوچى قد أوضح لنا أن استخدام الأسلوب العلمى فى تحليل ودراسة السلوك البشرى يرجع إلى بداية القرن التاسع عشر.

بل يعتبر البعض أنه البداية الحقيقية لدراسة السلوك كعلم مستقل لم تظهر إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أى منذ أنشأ ڤونت أول معمل تجريبى فى ليبزج عام ١٨٧١ . وفى هذا الصدد يجب أن نشير إلى أن علم النفس يعتبر من

العلوم الأساسية التى ترتكز عليها العلوم السلوكية لأن مصطلح العلوم السلوكية من المفاهيم حديثة النشأة فى التراث السيكولوجى التربوى.

معني السلوك : نحن لا نستطيع أن ندرك معنى السلوك على وجه التحديد إلا فى ضوء العلاقة الديناميكية بين الكائن الحى وبيئته فمنذ اللحظة الأولى التى يبدأ فيها الكائن الحى حياة مستقلة تبدأ مع هذه الحياة علاقة ديناميكية بين الكائن الحى من ناحية وبين البيئة المحيطة به من ناحية أخرى. ونحن نسمى أى نشاط يصدر من الكائن الحى فى أثناء عملية التفاعل هذه بالسلوك.

ولقد تعددت مفاهيم السلوك، ولكنها اتفقت جميعها على أن السلوك هو أى نشاط يصدر من الكائن الحى.

ومن تلك المفاهيم..

السلوك هو ذلك النشاط الذى يصدر من الكائن الحى كنتيجة لعلاقته بظروف معينة والذى يتمثل بالتالى فى محاولاته المتكررة للتعديل والتغييرمن هذه الظروف حتى يتناسب مع مقتضيات حياته وحتى يتحقق له البقاء ولجنسه الاستمرار.والسلوك بحكم هذا التعريف لا يخرج عن كونه ظاهرة طبيعية كأى ظاهرة طبيعية أخرى. ومن حيث كونه «ظاهرة» فهو لا يحتمل أى غموض أو إبهام أو غيبه وعلى ذلك فلا مجال للكلام بصدد الظواهر السيكولوجية عن «الشعور الباطنى» أو عن أغوار النفس أو عن أعماق اللاشعور ما لم تترجم هذه الألفاظ جميعا بما يجعلها ظاهرة قابلة للملاحظة أى سلوكا وباعتبار أن السلوك ظاهرة «طبيعية» وهو لا يحتمل الوصف بأنه تلقائى بل كأى ظاهرة طبيعية أخرى لابد أن نسلم بأن هناك ظروفا ضرورية لازمة لحدوثه وأن نبحث عن هذه الظروف.

«السلوك هو كل ما يقوم به الإنسان من استجابات ظاهرة يمكن ملاحظاتها وتسجيلها».

وتتراوح مستويات السلوك تبعا لذلك من مجرد حركة من العضلات وتنصب الدراسة على نمط كامل من السلوك كسعى فرد الأنتخابات فى عضوية مجلس إدارة. وتكون دراسة السلوك فى هذا المستوى فى مستوى الأنماط المتكاملة

ويقوم علماء النفس حاليا بدراسة السلوك (الأفعال) أو الاستجابات الظاهرية السلوكية غير أنه توجد أوجه نشاط يقوم به الإنسان ولا يمكن رؤيتها من الخارج كالتفكير والتذكر والإدراك والانفعال وما إلى ذلك وهذه الأوجه من النشاط يطلق عليها مصطلح الخبرة وهناك من علماء النفس من يفضل دراسة خبرة الإنسان الداخلية وكيف يرى الفرد العالم الخارجى من وجهة نظره هو وهؤلاء يسمون بالظواهريين ولكن يجدر بنا أن نذكر هنا أنه وإن كان علماء النفس يهتمون بالسلوك الظاهر إلا أنه مهما اختلفت اتجاهاتهم يهتمون بما يدور منه داخل الإنسان. ويقصد بالسلوك بوجه عام أنه عبارة عن الاستجابات الحركية والغددية أى الاستجابات الصادرة عن عضلات الكائن الحى أو عن الغدد الموجودة فى جسمه.

لذلك فإن السلوك الإنسانى يكون من العديد من الأنشطة التى يؤديها الفرد فى حياته اليومية حتى يمكن أن يتواءم أو يتكيف مع مقتضيات المعيشة فالسلوك يتمثل فى الأنشطة الظاهرة الملموسة. كالاستيقاظ من النوم وتناول الإفطار وقراءة الصحف والتوجه إلى العمل وإنجاز بعض الأعمال.

ويتضمن معنى السلوك كل ما يقوم به الإنسان من أعمال ونشاط تكون صادرة عن بواعث ودوافع معينة أو بمعنى آخر هو كل نشاط يقوم به الكائن الحى أو أى حركة تصدر عنه.

فالسلوك إذن هو ما ينتج من التفاعل بين ميول الإنسان وحاجاته ورغباته من جهة وبين إمكانات البيئة التى يعيش فيها من جهة أخرى.

ولا شك أن فهم السلوك يعتمد ويقتضى حتما فهم الدوافع التى دفعت الشخص إلى هذا السلوك. وينبغى هنا أن نفرق بين السلوك والفعل المنعكس.

فالسلوك فعل إرادى يتم نتيجة دوافع وبواعث داخلية أما الفعل المنعكس فعل لا أرادى يتم نتيجة مثيرات ومنبهات خارجية أذن فالسلوك يختلف اختلافاً كبيراً عن الفعل المنعكس لأنه سيتم عن طريق دافع يحاول أن يحقق هدفا معينا.

فالسلوك هو المرحلة المتوسطة بين الدافع الذى سيتبعه وبين الهدف الذى يتحقق بعده.

ويصدر السلوك عن ذات معينة نتيجة تفاعلها مع موقف خارجى معين. فأنت بين أصحابك تسلك أساليب مختلفة من السلوك إلا أنها مصبوغة كلها بصبغة من التحرر والانطلاق والبعد عن التكلف وألتزمت وأنت فى عملك تسلك سلوكا يشوبه طابع الدقة والأناة والتروى وتقدير المسئولية.

وأنت فى منزلك بين أفراد أسرتك عطوفا محبوبا كريما مقدرا معاونا. فنحن نقصد بالسلوك تلك الأحداث الجارية فى حياتنا اليومية من حيث أننا نعيش فى بيئة خاصة بنا مع آخرين مماثلين لنا نتفاعل معهم ويتفاعلون معنا أى نتأثر بهم ونؤثر فيهم ويتأثرون بنا ويؤثرون فينا أى أن الإنسان يعيش فى بيئة خاصة به.

وهو لا يخضع فى سلوكه لتكوينه الداخلى فحسب. بل يخضع أيضا لتلك العوامل الخارجية المحيطة به التى تتفاعل وتؤثر فيه ويؤثر فيها.

فالسلوك بهذا المعنى يقصد به أن الكائن الحى يعيش فى بيئة خاصة به وهو فى سلوكه فى هذه البيئة لا يخضع لتكوينه الداخلى فحسب بل يخضع أيضا لتلك العوامل الخارجية المحيطة به التى تتفاعل معه ويؤثر فيه وأن أى تغير فى شرط أساسى من شروط هذه البيئة يتولد عنه تغير عام فى نوع السلوك الذى يأتى به الفرد.

فأنت بين أصدقائك تسلك سلوكا معينا يتأثر بمدى ما بينك وبينهم من ألفة ومودة ولنفرض أن هذه المجموعة تتكون من أصدقاء حميمين منذ عهد التلمذة الأولى. فأنتم أذن تمرحون فى جو خال من التكلف والتعقيد والتقاليد الاجتماعية وما إلى ذلك. فإذا تصادف أن دخل عليكم صاحب جديد لا عهد لكم به فإن تصرفاتكم تتغير وتأخذ شكلا جديدا ولونا من الحديث يغاير اللون الذى كنتم عليه.

كذلك يتغير السلوك إذا تغير المجال فإنكم إذا انتقلتم جميعا إلى صالة المحاضرات لسماع أحد الأساتذة فى محاضرة يلقيها عليكم لا شك أن السلوك يتغير بشكل ظاهر كما سبق أن وضحنا.

فالسلوك يتصف بالكلية بمعنى أن السلوك وحدة معينة نتيجة لوجود الكائن

الحى فى موقف معين وهذا الموقف يتميز ببعض العوامل التى توثر على الكائن الحى فتجعله يستجيب له بطريقة معينة حتى يحقق تكيفه وتوافقه مع هذا الموقف.

وهكذا يحدث السلوك فى مجال معين وهذا المجال هو الذى يحدد معنى السلوك وأنواعه وقيمته.

إذ دون مجال ينعدم معنى السلوك لأنه لا يحقق غرضا معينا، ودون المجالات المختلفة المتباينة التى تتطلب أنواعا مختلفة من السلوك الصادر عن ذات معينه ينبغى تغير السلوك وقابليته للتعديل.

ودون المجال تتلاشى قيمة السلوك من حيث أنه يحقق وظيفة معينة للكائن الحى.

ويعرف علم النفس بأنه علم السلوك. وهذا السلوك يتضمن:

(١) سلوك خارجى أو ظاهرى يمكن ملاحظته موضوعيا مثل النشاط الحركى والتعبير اللفظى الذى يقوم به الفرد، وتعبيرات الوجه التى تصاحب بعض الحالات الانفعالية التى تغذيه.

(٢) سلوك باطنى من تفكير وتذكر وتصور وتخيل وإدراك وردود أفعال انفعالية وتستدل على حدوثها من خلال ملاحظة نتائجها.

ولا يمكن إدراك ماهية السلوك الصادر عن الكائن الحى إلا فى ضوء العلاقة الديناميكية بين مكونات الكائن الحى من ناحية وبين مكونات البيئة من ناحية أخرى، وهذه العلاقة تبدأ منذ اللحظة الأولى لبداية التكوين بالنسبة للكائن الحى وعلاقته البيئية المحدودة فى الرحم، ومنذ اللحظة الأولى لحياته المستقلة بالنسبة لعلاقته مع البيئة الأكثر اتساعا والأبعد مدى، وتتمثل هذه العلاقة فى التفاعل المستمر النشط بين الكائن الحى وبيئته، وما يحدث هذا التفاعل من مثيرات وما يتطلب من استجابات ضرورية للحفاظ على حياة الكائن الحى وضمان وجوده فالبيئة بكل ما تزخر من قوى مادية أو بيولوجية أو اجتماعية يصدر عنها نشاط يؤثر فى الكائن الحى. والكائن الحى بكل أبعاد تكوينه وحاجاته يصدر منه نشاط يؤثر فى البيئة، وهذا النشاط الذى يصدر عن عملية التفاعل المستمر هو السلوك.

وهناك محاولات مختلفة لوصف السلوك فيقسم السلوك إلى:

١ ـ سلوك فطرى ٢ ـ وسلوك مكتسب

السلوك الفطرى:

مما يساعدنا على فهم طبيعة سلوك الإنسان وعلى سهولة توجيهه الوجهة المنتجة أن نعرف بشيء من التحديد إذا كان ما يقوم به الإنسان هو نتيجة انطباعه بطابع البيئة أم نتيجة العوامل الفطرية الموجودة فيه أم نتيجة فعلهما معا. وقد بحث المفكرون فى هذه المشكلة واتجهوا فيها اتجاهات متعددة فقد ذهب لوك إلى أن عقل الطفل صفحة بيضاء وينقش فيها المرء ما يشاء ومعنى هذا أن نسميه بالحياة العقلية كله نتيجة لأثر البيئة وألمح روسو إلى أن سلوك الطفل جميل وبسيط بطبيعته ولا يفسده سوى تدخل الكبار. بجانب هاتين المحاولتين وغيرهما محاولات شبه ارتجالية ولكن اتجه بعض الباحثين إلى حل المشكلة عن طريق الموازنة بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان أى كالالة المعقدة التركيب المجردة من الحياة العقلية ورأى أن الإنسان كالحيوان إلا أنه يزيد عليه فى أمرين هما التفكير والإرادة وقد سبق ديكارت فى هذه البحوث بعض من فلاسفة العرب الذين أجمعوا على أن بالنفس ثلاثة أقسام النفس الشهوانية والغضبية ويشترك فى هذين الإنسان والحيوان أما النفس الناطقة فإنها خاصة بالإنسان.

وقد أفاد العرب فى اتجاهاتهم هذه من فلسفات أرسطو وأفلاطون وهناك اتجاه آخر وهو أن الفرق بين الإنسان والحيوان هو أن الحيوان يعبر فى سلوكه عن غرائزه أما الإنسان فإنه يعبر فى سلوكه عن تفكيره وإرادته ويرى فريق آخر أن سلوك الإنسان به بعض بقايا من سلوك الحيوان وهذه الزوائد أو البقايا من سلوك الحيوان يجب القضاء عليها عند الإنسان ويلاحظ فى هذه الإتجاهات عدا الاتجاه الأخير إغفال للاتصال المستر والتطور التدريجى من حياة الحيوان لحياة الإنسان وكذلك أغفال أن التفكير والارادة بصورهماا البارزة من مظاهر الحياة للبالغين بينما كان الواجب نحو كل هذه المشاكل توجيه عنايه أكبر لدراسة سلوك الأطفال.

أما السلوك المكتسب: فهو السلوك الذى يتعلمه الفرد نتيجة لاحتكاكه بالبيئة

المحيطة به ويظهر السلوك المكتسب فى صور متعددة كتعلم القراءة والكتابة وقيادة السيارات والسباحة وغير ذلك من المهارات التى يتعلمها الفرد وتتأثر بالاتجاهات والميول والعقائد الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية وغيرها من التى يؤمن بها.

ولكن يجب أن نلاحظ أن العوامل البيئية المحيطة بالفرد تلعب دورا هاما فى تهذيب وتطوير سلوكه الفطرى حتى يكون مقبولا من المجتمع فلكل منا دوافعه الفطرية البدائية كالجنس والعدوانية والتى يمكن أن تظهر فى صورة همجية ولا أخلاقية إن لم تخضع لعوامل الضبط التى يقرضها المجتمع على الفرد ويظهر تأثير العوامل البيئية على السلوك الفطرى بدرجة كبيرة فى مرحلتين هامتين من مراحل حياة الإنسان وهما مرحلة التنشئة الأسرية حيث يقوم الأب والأم بدور الموجه والمعلم للطفل لتطويع وتعديل سلوكه الفطرى «مثال» ذلك أن عملية الإخراج عند الطفل هى عملية فطرية لكن الطفل الصغير يتعلم كيف يؤدى هذه الحاجة بالطريقة التى تعلمها له أمه.

أما «المرحلة الثانية» فى المرحلة الدراسية حيث يتلقى الفرد المعلومات التى تفيده فى تعديل سلوكه الفطرى وتهذيبه سواء من حيث ضبط غرائزه الطبيعية أو من حيث تعامله مع غيره من الأفراد فمن الغرائز الفطرية حب التفوق على الآخرين ويتعلم الفرد فى المدرسة أن المجتمع لا يقبل استخدام القوة الجسمانية واستعمال العنف فى محاولة تحقيق التفوق على الآخرين حيث أن هناك العديد من الأساليب المشروعة والتى يرتضيها المجتمع لتحقيق ذلك ومن أمثلتها الاجتهاد فى استذكار الدروس والتفوق على أقرانه.

وهناك من يقسم السلوك إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ سلوك فردى ٢ ـ سلوك جماعى ٣ ـ سلوك اجتماعى

١ ـ السلوك الفردى :

أما السلوك الفردى فهو سلوك الحيوان الذى يحدث تلبية لدوافع فردية شخصية ويكون الغرض منه المحافظة على حياة الحيوان باعتباره وحدة مستقلة

وكذلك كسلوك الطفل الذى لم يتصل بعد بالمجتمع ولم يظهر للغرائز الاجتماعية أثر فى نفسه مثال ذلك الخوف والغضب وحل الأشياء وتركيبها واختبار بعضها أو لمسها إلى غير ذلك من أنواع السلوك الغريزى الفردى.

ويمكن أن يقال بوجه عام أن السلوك الفردى هو أى عمل يقوم به الفرد أو الإنسان تلبية لدافع شخصى غير متأثر تأثيرا بالغرائز أو الميول الفطرية وأما السلوك الجماعى فهو أى عمل يصدر من الفرد متأثرا فيه بعوامل أو دوافع اجتماعية ويكون الغرض منه المحافظة على كيانه باعتباره عضوا من أعضاء مجتمع عام كالأسرة والمدرسة وفريق اللعب والطائفة المهنية وذلك كالمنافسة وقابلية الاستهواء والمشاركة الوجدانية والتقليد واللعب مع فريق من اللاعبين.

يعتبر السلوك الفردى أبسط صور السلوك حيث يتعلق بفرد معين فكل منا يتعرض لمواقف متعددة فى حياته اليومية نطلق على كل موقف منها لفظ مؤثر فإذا تصورنا شخصا يسير فى الطريق وسمع صوت سيارة (مؤثر) تأتى خلفه فإنه تلقائيا يأخذ جانبا (استجابة) «ليتجنب إصابة السيارة له».

مؤثر ⟵ استجابه

والمؤثر الواحد ينتج منه انواع من السلوك المتنوع لدى الأسفراد المختلفين وأن الموقف الواحد المؤثر قد يترتب عليه العديد من الاستجابات المختلفة نتيجة اختلاف إرداك الأفراد لموقف ويوضح الشكل التالي هذه الحاله ٠

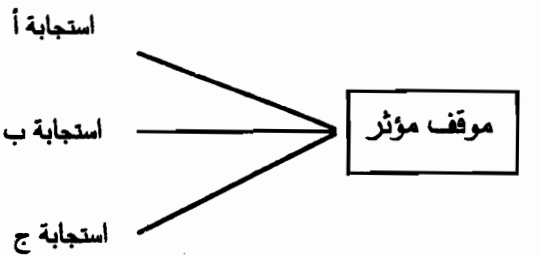

كما أنه يمكن أن تتماثل الاستجابات الخاصة من أفراد مختلفين ويظهر كما يلى :-

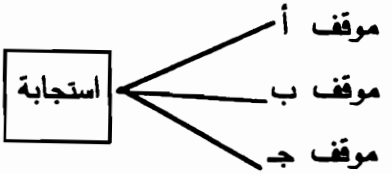

٢ - السلوك الجماعى :

هو سلوك جماعة من الأفراد تتصف بالقدرة على تطوير قواعد وعادات للسلوك بطريقة تلقائية تخالف ما هو شائع ومقبول في المجتمع٠

وهو السلوك الذى يتمثل في علاقة الفرد بغيره من أفراد الجماعة وهو أيضا احدي صور السلوك الشائعة في الحياة الإنسانية حيث يميل الإنسان بطبيعته إلى الانتماء وتكوين العلاقات الاجتماعية مع غيره من الأفراد ويكتسب الإنسان هذا السلوك منذ مولده نتيجة لعلاقاته بالأسرة التى نشأ فيها ثم بالبيئة الاجتماعيه خارج الأسرة ٠

ومن النماذج الأساسية للسلوك الجماعي الجماهيري هي :

١ - **انه سلوك مؤقت** : فهو يشتعل بسرعة وينتهي وينطفئ بسرعة فتلاحظ في حياتنا اليومية العديد من التجمعات التي تظهر فجأة ويتزايد عددها بشكل كبير ويتصالح أفرادها ويتشاجرون ثم فجأة ينفض هذا التجمع ٠

٢ - **أنه يتسم بالعنف** : حيث يظهر هذا العنف في صور متعددة كالتخريب والضرب والاعتداء الجسدى الذى يبلغ حد القتل ٠

٣ - **سهولة وسرعة التأثير المتبادل** : ويحدث ذلك بين أفراد الجمهور الذين يتجمعون حيث يقوم كل فرد بإثارة الآخرين كما أنه يستجيب لإثارتهم بسرعة ٠

٤ - **انتقال المسئولية إلي الجماعة** : ويتحقق ذلك نتيجة لكبر حجم أعضاء

الجماعة وانعدام التميز الفردى كما يزيل الشعور بالفردية لذلك فإن عضو الجمهور لا يشعر بمتابعه أحد لتصرفاته كما أنه أيضاً لا يعطى اهتماما لتصرفات الآخرين وقد يأتى من التصرفات ما لا يستطيع أن يفعله وذلك ارتكازا إلى أن المسئولية لا تقع على كاهله وحده إنما يتحملها جمهور المتجمعين٠

مثال: المظاهرات التى ينضم إليها العامل ٠الطبيب ٠ المهندس ٠ المدرس فاذا هوجمت المظاهرة من الشرطة فإن كلا من أفراد الجمهور يقوم بتصرفات مثل إلقاء الحجارة أو الاحتكاك بقوات الشرطة بصورة لا يقبلها إذا عاد إلى اتزانه ٠

٥ - **التقبل التلقائى للأقتراحات** : فعلى الرغم من أن أعضاء الجمهور قد لا يعرف بعضهم البعض معرفة شخصية إلا أنه يظهر من بين أعضائه بعض من أفراده يقومون بدور القيادة فيصدرون تعليماتهم لأعضاء الجمهور الذين يستجيبون عادة بصورة تلقائية لهذه التعليمات ٠

٣- السلوك الاجتماعى :

وهو السلوك الذي يتمثل في علاقة الفرد بغيره من أفراد الجماعة وهو أيضاً إحدى صور السلوك الشائعة في الحياة الإنسانية حيث يميل الإنسان بطبيعته إلى الانتماء وتكوين العلاقات الاجتماعية مع غيره من الأفراد ويكتسب الإنسان هذا السلوك منذ مولده نتيجة لعلاقاته بالاسرة التى ينشأ فيها أولا ثم بالبيئة الاجتماعية خارج الأسرة وارتباط فرد بشخص آخر يترتب عليه تأثير سلوك كلاً منهما فى الآخر ويظهر بدرجة كبيرة عندما تتوطد العلاقة بينهما ٠

مثال : علاقة الأب والإبن فإن كلا منهما يلعب دوره المؤثر والمستجيب في نفس الوقت بالنسبة للآخر ، فمثلاً الأب يوصى ابنه نحو استذكار دروسه (مؤثر) فيستجيب الإبن لرغبة والده فى استذكار دروسه (استجابة) فيكافئه والده بأن يشترى له دراجة «استجابة» وهكذا يلعب كلا منهما دور المؤثر والمستجيب في نفس الوقت ٠

ولا تقتصر العلاقات الاجتماعية على علاقة فرد بآخر بل يقوم الفرد بالانضمام إلى المجموعات من الأفراد ويتأثر سلوك الفرد بما تمارسه عليه الجماعات من ضغوط ويمكن أن نسميه بعملية الضبط والتطويع الاجتماعي حيث يقوم الفرد بأنماط سلوكية تتفق مع عادات وتقاليد الجماعة فينال رضاها٠

أوجه الشبه بين الحيوان والإنسان في السلوك :

يوجد شبه كبير بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان فنحن نجد ما يؤثر فى الإنسان غالبا ما يؤثر في الحيوان مثلاً عند وخذ القطة بإبرة فإنها تضم يدها إليها بسرعة كما يفعل الإنسان وكما يخرج الإنسان يكسب رزقه لإطعام نفسه وأولاده نجد الحيوان يخرج للبحث عن فريسه لإطعام صغاره ٠

نجد في الحيوان مما سبق ما يدلنا علي قدرته على نوع من التصرف أو التفكير فقد وضع أحد علماء النفس **شمبانزى** فى غرفة علق فى سقفها مقداراً من الموز ووضع في نفس الغرفة ثلاثة صناديق فأخذ **الشمبانزي** ينظر إلى الموز ويصرخ كالأطفال ثم أخذ يلعب ويحرك الصناديق فوصل أحد الصناديق بطريق الصدفة الى ما تحت الموز مباشرة فصعد عليه ويظهر انه أدرك هذه المسافة بينه وبين الموز وفي النهاية تبين مقدرة الحيوان علي نوع من التفاهم والتعاون٠

محددات السلوك :

أى أنه لا يمكن فهم السلوك الصادر عن الإنسان إلا بناء على عدد من العوامل المتفاعلة مجتمعة وذلك لتعقد السلوك البشرى من هذه العوامل :

اولا : العوامل الجينية - الجبلية :

يولد الإنسان وهو مزود ببعض الخصائص التى يشترك فيها مع غيره من أفراد الجنس البشرى ومن هذه الخصائص الأوجاع العصبية البسيطة والأفعال المنعكسة وتجنب المثيرات المؤلمة المنفرة والهرب من الخطر تلك الخصائص توجد بين البشر جميعا لما لها من قيمة في المحافظة على حياة الإنسان ٠

وثمة مجموعة من الخصائص التى يولد الإنسان مزودا بها إلا أنها تكون

خاصة به وليست مشتركة بين بنى البشر جميعا مثل عتبة إحساسه بالألم أى أقل مقدار من المثير المؤلم أو ما يعرف بعتبة الإحساس الدنيا وعتبة الإحساس القصوى أى أعلى كمية من المثير يمكن ان يتحملها الشخص دون أن يتغير نوع المثير مثل الدرجة التي يتغير عندها الإحساس اللمسى ليصبح إحساسا بالضغط ٠

ويطلق على المجموعة الأولى من الخصائص Genotype اما المجموعة الثانية من الخصائص فيطلق عليها Phenotype او الخصائص الجينية الكامنة فى مقابل الخصائص الجينية الظاهرة وبالرغم من التقدم العلمي الهائل فإنه لم يستخدم أو يستطع العلماء فصل العوامل الأولى عن الثانية مما أدى إلى تسميتها معا باسم الخصائص الجبلية وكذلك لم يستطع العلماء تغيير هذه العوامل قبل الميلاد بالرغم من أنه يمكن التعديل منها بعد الميلاد مثل تدريب الإنسان على تحمل مستوى من الألم يفوق مستواه السابق أو تدريب الإنسان على الإقدام على المثيرات الخطره المؤلمة٠

ثانيا : الحالة الفسيولوجية :

يعتبر الجهاز العصبى مسئولا عن تحقيق التكامل داخل الجسم إذ يسيطر وينظم وظائف الجهاز الغدى والدورى وحركات العضلات الارادية وغير الإرادية وبالتالى فإن أى تأثير على الجهاز العصبى يؤثر في سلوك الشخص فالأدوية المهدئة تؤثرعلى السلوك من خلال الجهاز العصبى وارتفاع درجة الحراة تؤثر على السلوك وغيره من خلال الجهاز العصبى، واذا كان للجهاز العصبى دوره الهام فى السلوك فإن للحالة الفسيولوجية للكائن قبل وأثناء ممارسة السلوك دورها في الأداء . فالجائع تكون استجابته للمثيرات المرتبطة بالطعام مختلفة عن استجابة الشبعان وبالتالى فإنه يمكن تعديل سلوك الشخص بالتحكم فى حالته الفسيولوجية (بحرمانه من الطعام) فلقد وضع سكنر عالم النفس السلوكى فأرا جائعا داخل قفص به رافعه اذا ضغط عليها حصل على الطعام. بتكرار المحاولات تعلم الفأر الضغط على الرافعة كلما أراد الحصول على الطعام .

أخيرا يجب الإشارة إلى أن الحالات الفسيولوجية للكائن قد تكون جبلية مثل ضغط الدم أو قد تكون مؤقتة مثل الحرمان من الطعام٠

ثالثا: الخبرات السابقة المتعلمة :

يمكن القول أن كثيرا من الاستجابات إنما تعتبر نتيجة لتاريخ طويل من التعلم فى المواقف السابقة وبالتالى فإن التنبؤ بالسلوك إنما يكون على أساس معرفتنا بخبرات الشخص المتعلمة من قبل فى المواقف السابقة فالطفل الذى يبكى كلما أراد الحصول على شئ ما قد اكتسب هذا السلوك وتعلمه نتيجة لاستجابة والديه لرغباته كلما بكى فى مواقف سابقة وبالتالى يمكن التنبؤ بأن هذا الطفل سيبكى اذا اراد الحصول على أى شىء آخر ولتعديل هذا السلوك يدرب الطفل على اساليب سلوكية جديدة لإشباع حاجاته فإذا لم يعط الطفل الذى يبكى عليه عدة مرات وطلب إليه أن يسكت أولا لكى يحصل عليه فإنه بذلك يمكن تعديل سلوكه فى نفس الموقف وفى المواقف المماثلة أيضا٠

رابعا : المؤثرات البيئية المحيطة بالفرد :

يقصد بالبيئة بمعناها العام مجموعة المؤثرات التي يتعرض لها الفرد ويستجيب لها استجابات متعددة تساعده علي التعامل معها هذه المثيرات قد تكون جغرافية كطبيعة البيئة وتضاريسها ومناخها وقد تكون اجتماعية متمثلة فى عادات وتقاليد واديان وانماط التعامل الاجتماعى داخل الاسرة وخارجها وقد تكون سيكولوجية متمثلة فى اهتمامات الفرد وميوله وعاداته واتجاهاته وقيمه ٠ والبيئة بهذا المعنى يختلف تأثيرها على الأفراد اختلافا كبيرا فسلوك القروى يختلف عن سلوك الساحلى وسلوك الطفل الأول يختلف عن سلوك الطفل الثانى والثالث ٠ أما البيئة بمعناها الخاص فهى عبارة عن الوقائع التى تسبق السلوك او النتائج المترتبة عليه تلك الوقائع والنتائج يمكن ملاحظتها وتسجيلها والحكم فيها بحيث تغير من السلوك فالتلميذ الذى لا ينتبه لمدرسه يمكن إثباته عندما ينتبه إلى المدرس وبتكرار تدعيم السلوك المرغوب فيه وفقا لأسلوب معين تتكون عادة سلوكية جديدة هى الانتباه إلى المدرس ٠

ويحدد السلوك سواء كان سوياً أو غير سوى عن طريق قوى معقدة ومتداخلة وتكون هذه القوى إما بيولوجية أو اجتماعية ثقافية ٠

اولا : القوى البيولوجيه وهى تنقسم الى :-

أ - الوراثة

ب - ارتباك الغدد الصماء.

جـ - النقص والحرمان الجسمى والحسى والعاطفى.

د - تلف المخ .

ثانيا : القوى او المحددات الثقافية والاجتماعية :

اولا - القوى البيولوجية وهى تنقسم الى :-

أ - الوراثة .

ب - ارتباك الغدد الصماء .

ج - النقص والحرمان الجسمى والحسى والعاطفى .

د - تلف المخ .

ثانيا : القوى أو المحددات الثقافية والاجتماعية :

اولا :القوى البيولوجية وهى تنقسم الى :-

العوامل الوراثية : وهى لا تكون سبباً لانحراف السلوك لأن الانحراف بالطبع لا يورث ولكن الأستعدادات الوراثية هى المسئولة عن تطور السلوك بحيث يصبح غير سوى أو سوى فمن الدراسات التى جرت على السلالات الأصلية على إحدى العائلات وجد السيكولوجيون أن هذه العائلة وأصلها من زوجين متخلفين عقلياً ظهربها ١٢٩٠ متخلفا عقليا فى ظرف ١٣٠سنة، بالإضافة إلى ماسبق فيتضح لنا متخلفاً عقلياً.

دور الغدد الصماء فى ضبط أنشطة الجسم فاذا ارتبكت النخامية ظهرت، أعراض القزامة أو العملقة ولا تسبب هذه الأعراض فى انحراف السلوك ولكنها قطعاً تتسبب فى اضطراب التكيف العام للفرد المصاب ، وإذا أضافت إلى ذلك بيئةكسوء معاملة الأخرين له واستهزائهم به هيأت تربة خصبة لانحرافه وإذا ارتبكت الدرقية تسبب إفراز هرمونها الإفراط فى القلق وعدم الاستقرار وقلة النوم

والتهيج الانفعالى وإذا قل إفرازها خملت الأنشطة الجسمية وظهر على الفرد الاكتئاب الشديد•

النقص والحرمان الجسمى والجنسى : ولهما أثر فى تغير سلوك الإنسان فالحرمان الجنسى الشديد يؤدى إلى الهلوسة والعدوان مثل العزلة فى زنزانة أو العمل فى غواصة الفضاء والجوع وعدم النوم لفترة كبيرة كل ذلك يؤدى إلى التهيج العصبى والخلط بين الخيال والحقيقة وإلَى قابلية العدوان •

النقص والحرمان العاطفي: افتقاد المحبة فيسبب الاكتئاب والتحدى الشديد وكلاهما شكل من إشكال العدوان •

تلف المخ : يسبب الإصابة بالصرع والأورام فينتج عنه انحرافات السلوك والاستجابات العدوانية كالهرب •

ثانيا : القوى أو المحددات الثقافية والاجتماعية :

إن العوامل الثقافية والاجتماعية تتمثل فى تأثير الأسرة وكثافة السكان ومشاكل الطبقات الاجتماعية وعبورالثقافات •

فالإنسان يتعلم عاداته داخل أسرته أولاً وهنا أيضاً يتفاعل مع محيطه ويحصل منه على ما يشبع حاجاته من مأكل ومشرب وعطف وطمأنينة ثم ينتقل بعد ذلك إلى العالم الخارجى فيعامل الناس ويتفاعل معهم بنفس الطريقة التى وجدها فى أسرته وإذا وجد نقص فى الأسرة عوضه فى المجتمع ولكنه هنا أيضاً يتلقى مثيرات جديدة ومختلفة فقد يلاقى عزلاً اجتماعياً وذلك من خلال الطبقات ومن المشاكل الطبقية الى ترفع الاصابة بالاضرابات النفسية وانحرافات السلوك مشكلة السكان او التفرقة العنصرية •

فسكان المدن تكثر لديهم المشاكل بالنسبة لسكان الريف وزيادة كثافة السكان في الحضر يزيد من إحباطهم واحتكاكهم وقد أثبتت الدراسات عن عادات اهل المدن الكثيفة السكان وجدوا ان آداب المعاملة واللياقة فى الطريق تندثر لديهم وينتج عن العزل أن الكثير من أفراد الطبقة المعزولة يضطرون إلى الهجرة او الانتماء إلي طبقات أخرى .

فمثلا : نجد أن مزراعي القرى يقبلون على العمل الصناعى والهجرة من المناطق القديمة إلى الحديثة وهنا تتولد مشاكل من عدم التكيف والإحباط وتحاشى الغرباء . وليس كل التغير يكون الى اللاسواء فهناك محددات صالحة تساعد الفرد على إصلاح سلوكه وتقويمه أهمها التعليم، إعادة التعلم وهى أول قاعدة للعلاج النفسى فالفرد المتصف بعدم السواء أو الشذوذ من ناحية السلوك العملى أو اللفظى أو العقلى فان فى إمكان المحيطين به مثل الأسرة مثلا عليهم اتخاذ أسلوب لتقويمه وتعليمه بل ويمكن تغيير البيئة لكى نغير السلوك وذلك اذا كان وجوده فى بيئته سوف يضره ٠

مكونات السلوك :

ويتكون السلوك من ثلاثة جوانب هى :-

١ - الشعور

٢ - شبه الشعور

٣ - اللاشعور

الشعور :

حين نتأمل أنفسنا باطنيا نلاحظ تفكيرنا وادركاتنا وحالات السرور والألم وما عندنا من رغبات وآمال فهذه العمليات العقلية كلها هى الشعور فالشعور إذن هو مجموع الخواطر والإحساسات والمشاعر والأفكار التى تكون داخل نفوسنا

والشعور - هو علم المرء بوجوده هو ومايدور فى نفسه من العمليات العقلية والأحداث النفسية ٠

- الشعور بما فى بيئته من الأشياء وما يجرى فيها من التغيرات٠
- يطلق كذلك على مجموع هذه العمليات والأحوال كلها٠
- فالشعور ليس سوى أن تفطن النفس ذاتها لما يدور فيها ويحدث من العمليات والخواطر ٠
- وفى علم النفس الحديث ان الشعور ليس سوى النفس عينها من حيث

هى مجموع العمليات والحوادث النفسية فى أى لحظة معينة من الوقت الحاضر.

- السلوكيون يقررون أنه ليس أحد يستطيع أن يحلل الشعور تحليلاً موضوعياً .
- من الباحثين من يرى أن الشعور هو الحياة النفسية كما يرى فرويد وانصاره انه ليس سوى جزءاً صغيراً جداً من تلك الحياة.

وخير ما يعيننا على حسن فهم الشعور وتصور حالاته ومميزاته حيث إنه له بداية ونهاية السلوك فهو يبدأ من يوم يحل الطفل فى هذا العالم وينتهى بخروجه منه فيكون شعور الطفل فى مبدئه غامضا مهوشا كل التهويش وهى الطبقة العليا وهى فيها الخواطر والآراء والوجدانات وغيرها التى يكون المرء متفطناً إليها وهى يوجه إليها نظره عندما يفكر تفكيراً باطنيا وهذه تبعثها المؤشرات الواردة بطريقة الحواس المختلفة أو تبعثها ذكريات أخرى باطنية سابقة .

مميزات الشعور :

١ - لا يوجد شعور منفصل عن الذات الشاعرة .

٢ - الشعور فى تغيير دائم .

٣ - كل حالة تمر تعود هى نفسها .

٤ - إن كل عملية عقلية معقدة تعقداً قد يكون كبيراً جدا .

٥ - أنه ليس الشعور متقطعا ولا مكوناً من أجزاء منفصلة أو ذرات مستقلة ولكن هو مستمر متماسك متصلة أجزاؤه بعضها ببعض اتصالا محكما .

٦ -هو الشعور دائماً يختار بعضاً من الخواطر الكثيرة التى تتسابق لتحل به فيتعلق بواحدة ويرفض الأخرى .

كما يوجد للشعور حدة .

حدة الشعور: الشعور كما ظهر فى موقف يغلب عليه الإدراك أو الوجدان أو النزوع .

فالشعور وحدة متصلة بعضها ببعض على الرغم من تعدد مظاهرها وكثرة أحوالها وتغييرها المستمر .

درجات الشعور: فان للشعور درجات من حيث قوته وضعفه وفصوحه وغموضه.

٢ - شبه الشعور

شبه الشعور – هى الطبقة الثانية وهى دون الأولى وفيها الأعمال الشبه شعوريه وهى الأعمال العادية والآلية لا تستلزم من المرء انتباها وحصر فكر ولكنه يستطيع تذكرها بالطرق العادية

٣- اللاشعور :

اذا تأمل الفرد حالاته النفسية يجد أن بعضها ظاهر يمكن ملاحظته وهو الجانب الشعورى ، وبعضها الآخر خفى لا يتيسر له إدراكه وهو الجانب اللاشعورى . فإذا كان الشخص فى حالة فرح فقد يعرف سبب فرحه ولكن كثيرا ما يشعر بحالات معينة لا يعرف لها سبب أو يقوم بأفعال لا يدرك الدوافع إليها ، فقد يشعر الإنسان بالاكتئاب أو القلق دون أن يعرف مصدره ودون وجود سبب ظاهر . وقد يقوم بأعمال سلوكية دون أن يعرف سببها أو دوافعها ، فقد يسرق بعض الناس دون أن يكونوا فى حاجة إلى السرقة ودون أن يدركوا سبب ذلك . وحقيقة الأمر أن دوافع هذا السلوك الذى يقومون به تكون خفية فى العقل الباطن أو اللاشعور الذى هو يعتبر الجانب الآخر من مكونات السلوك .

إذن فاللاشعور يؤثر أيضا على السلوك الإنسانى ولكن دوافعه تكون خفية أو غير واضحة كالشعور ولكن كلاهما يؤثر على السلوك لأن كلاهما ينتج عن دوافع التى تعتبر بمثابة المحركات لأى سلوك يصدر سواء من الإنسان أو الحيوان .

اللاشعور هو الطبقة الأخيرة وهى عميقة مستقرة فى صميم النفس وقرارتها ويطلق عليها « اللاشعور » كما تقدم ويطلق « اللا شعور عن حيث ينتهى الشعور

وشبه الشعور ويبدأ اللاشعور وهو جد بالطبع غامض غير محدود وينبغى ألا يعرب عن الفكر بحال من الأحوال إلا أن هذه الطبقات ليست إلا من باب المجاز » .

مثال حى على مكونات السلوك :

عندما انتبه إلى المحاضر هو بؤرة الشعور وزملائى هم شبه الشعور والضوضاء هامش الشعور ويعتبر اللاشعور، زملائى والضوضاء .

أثر الغدد فى الفروق الفردية وانعكاسه على السلوك

جهاز الغدد له أهمية كبيرة فى تنظيم النمو ووظائف الجسم وللغدد إفرازاتها (الهرمونات) تأثيرها الواضح فى عملية النمو .

الغدد الصماء واللاقنوية :

وهى التى تطلق إفرازاتها (الهرمونات) فى الدم مباشرة لتحكم وظائف الجسم وهى فى عملها تؤثر إحداها فى الأخرى .

الغدة القنوية :

وهى التى تطلق إفرازاتها فى قنوات إلى مواضع التى تستعمل فيها مثل الغدد اللعابية والغدد الدهنية والغدد العرقية والغدد الدمعية والغدد المعدية والمعوية والبروستاتا .

وتؤثر الغدد فى السلوك بشكل واضح وترتبط وظيفة الغدد الصماء ارتباطا وثيقاً بوظائف أجهزة الجسم المختلفة وخاصة الجهاز العصبى وبصفة أخص الجهاز العصبى الذاتى . ومعروف أن العملية الفسيولوجية والنفسية تعتبر متغيرات يعتمد بعضها على بعض وتلعب الغدد الصماء دورا هاما فى وظائف الأعضاء وتؤثر عن هذا الطريق فى السلوك والشخصية إنها تؤثر بشكل واضح فى النشاط العام للفرد وفى سرعة وشدة السلوك الانفعالى وفى كم ونوع واستمرار السلوك الذى يختاره الفرد . إن النضج الجنسى مثلا يتدخل فى تحديد مدى التوافق الاجتماعى للمراهق وتلعب الغدد الجنسية دورا فى إبراز الفروق بين الجنسين فى الحجم وشكل الجسم والقوة العضلية ويستتبع تلك الفروق فى التفاعل مع البيئة ، ومعروف أن التوازن فى الإفرازات الغدد يجعل من الفرد شخصاً نشيطاً ويؤثر تأثيراً حسناً على سلوكه بصفة عامة .

وتؤدى اضطرابات الغدد إلى المرض النفسى وردود الفعل السلوكية المرضية . كذلك يزيد اضطراب الغدد فى حدة السمات النفسية العادية للفرد وتؤثر الغدد بشكل واضح فى السلوك Behaviour وترتبط وظيفة الغدد الصماء ارتباط وثيق بوظائف أجهزة الجسم المختلفة وخاصة الجهاز العصبى الذاتى ومعروف أن العمليات الفسيولوجية والنفسية تعتبر متغيرات تعتمد بعضها على بعض . وتلعب الغدد الصماء دورا هاما فى وظائف الأعضاء وتؤثر عن هذا الطريق فى السلوك والشخصية انها تؤثر بشكل واضح فى النشاط العام للفرد وفى سرعة وشدة السلوك الانفعالى وفى كم ونوع واستمرار السلوك الذى يختاره الفرد .

السلوك والإتجاهات و آثار البلوغ فيها :

إن البلوغ هو تغير فسيولوجى يتناول الفرد بأكمله وإن آثاره تعود على الجسم كله وفى كثير من الحالات وخصوصا بالنسبة للإناث تكون له آثار على النواحى الانفعالية والاجتماعية ومن المحتمل أن يصاحب النمو السريع والتغيرات الجسمية المفرطة بالتعب وعدم الاستقرار وغيرها من الأعراض غير المستحبة .

وتعتبر الثقافة التى ينشأ فيها الفرد ذات أثر كبير على سلوكه واتجاهاته ولذلك نجد انه فى المجتمعات البدائية حيث تكون الثقافة أكثر تجانسا يكون سلوك المراهق أكثر تشابهاً حيث أن هناك فرصاً محددة للقيام بالاختبارات المختلفة ويمكن التنبؤ بسلوكهم بسهولة أكثر مما هو ممكن بالنسبة للشباب فى المجتمعات المتحضرة حيث تكون الفروق الفردية بينهم لا نهاية لها بسبب .

١- عدم التجانس الثقافة .

٢- سرعة التغير الثقافى .

٣- الاختلافات الثقافية والخلفيات الوراثية .

وحيث أن المجتمع البدائى يتميز بوجود صور سلوكية معينة يمكن التنبؤ بها عن طريق معرفة نمط الثقافة فى حين أنه فى المجتمعات الحديثة يكون سلوك الفرد أقل فى ارتباطه المباشر بالثقافة الكلية عنه بالثقافة الجزئية والأنماط العائلية فإنه يمكن فهم سلوك المراهق بطريقة أكثر وضوحاً عن طريق دراسة الحالة وعموما فلقد وجد أن أهم آثار البلوغ شيوعا على السلوك والاتجاهات تتعلق بالرغبة فى الانعزال ونقص الميل للعمل وقلة التوافق وسرعة الملل وعدم الاستقرار والعداء الاجتماعى ومقاومة السلطة والعداء الجنسى وازدياد حدة الانفعالية ونفس الثقة بالذات والانشغال بالجنس والحياء المفرط وأحلام اليقظة .

وبالرغم من أن جميع الأطفال يظهرون بعض الأنماط السلوكية السابقة فإن هذه الأنماط تكون ملحوظة بدرجة أكبر قبل أن يصبحوا ناضجين جنسياً أو خلال الفترة المعروفة باسم المرحلة السالبة ، ولكننا يجب أن نلاحظ أن آثار النضج الجنسى على السلوك الاجتماعى تكون مؤقتة إذ أن من مطالب النمو قبول الجسم النامى والاعتراف أن الطبيعة تنتج أسساً محدودة فى الشكل والحجم ويستطيع الفرد أن يغيرها لتناسب مثله ولكن لسؤ الحظ فان القلة من البالغين يتقبلون التوجيه الذى يحتاجونه لتجنب أثر الصدمة النفسية .

وكما أشار فجهرست فانه من النادر أن نجد الصغير الذى لم يقلق أبداً خلال هذه المرحلة مع السؤال هل أنا طبيعى ؟

ولكن من مشاهدتهم للتلفزيون وحضورهم للأفلام وقراءة القصص الكوميدية والكتب المختلفة ومن ملاحظتهم لبناء أجسام وسلوك الراشدين الذين يقدرون يتكون لدى الأطفال البالغين مفهوم واضح عن الذكورة والأنوثة فى المظهر والسلوك يتضمن جانبا وجدانيا انفعاليا يتمثل فى الميل إلى موضوع دون آخر أو الشعور بالارتياح أو عدمه وجانبا معرفيا يتمثل فى ادراك المعانى المتضمنة فى الموقف وجانبا حركيا يتمثل فى حركات البدن سواء أكانت حركة داخلية (كحركة الأمعاء وسرعة الدم عند الغضب) أو خارجية (كحركة اليد) .

ولقد سبق التفسير العلمى للسلوك تفسيرات خرافية بدائية واضحة فى كثير من الحكم والأمثال المتداولة التى تعبر عن العلاقة بين السلوك ومتغير واحد فقط ، فى حين ان السلوك محصلة لعوامل متعددة ومتشابكة فالمثل القائل علم فى المتبلم يصبح ناسى وضح وجود علاقة بين التبلم والنسيان ، وذلك فى حين ان النسيان يرجع إلى عوامل متعددة – مثل عدم الاهتمام أثناء التعلم أو عدم التركيز أو الحالة الصحية للكائن أو لمحو آثار التعلم كما سيتضح فيما بعد ومن التفسيرات الخرافية أيضاً أنه إذا ما اقترنت حادثة أو ظاهرة بمظهر سلوكى معين اعتبرت الحادثة سبباً لهذا المظهر السلوكى كاقتران تارخ الميلاد وحظ الشخص مثل هذه التفسيرات لا يمكن إثبات صدقها أو كذبها (كلما نعقت اليوم ساء الحظ فى أى وقت وفى أى مكان) .

خصائص السلوك

يتميز السلوك بعدة خصائص منها :

١- السلوك محدد بعوامل متعددة منها عوامل مستمدة من الوراثة أى من الخصائص الوراثية التى يرثها الفرد من والديه وأجداده وبعوامل مستمدة من تاريخ حياة الفرد وما مر به من خبرات وبعوامل مستمدة من حاجات الفرد وبناء شخصيته وبعوامل مستمدة من بيئة الفرد التى يعيش فيها .

٢- يتميز السلوك بالمرونة فلكل إنسان مهارته ومعلوماته التى تعلمها والتى يعد لها وفقا لما يمر به من ظروف . وكل إنسان يتعلم بطرق مختلفة وبالتالى يصل إلى نتائج قد تكون مختلفة .

٣- إن السلوك محصلة فعل ورد فعل أى محصلة مثيرات بيئية واستجابات فردية فالثعلب الذى تعرض لهجمات الأسد فى مكان معين لن يذهب إلى هذا المكان ثانية والطفل الذى لسعته النار لن يضع يده فيها ثانية بل يعمل على إبعادها عنه.

٤- السلوك هادف . أى يهدف إلى إشباع حاجة لدى الكائن فالإنسان يبحث عما يشبع حاجته للطعام والشراب والراحة وتجنب الألم وإلى التقدير والمركز الاجتماعى أو إلى حل ما يعترضه من مشكلات أو مواجهة ما يعانى من صراعات داخلية أو خارجية مع الظروف التى تعترض طريق تحقيقه لاشباعاته .

٥- السلوك مركزى التنظيم إذ تنظمه ذات الفرد فكل مثير وخبرة له دلالاته بالقياس إلى ذات الفرد وإلى المعنى الذى تخلعه الذات عليه فعدم تحية صديق للآخر تعتبرها غطرسة منه وعدم احترام لك وقد يعتبرها آخر عدم انتباه الزميل له .

٦- تنمو شخصية الفرد باستمرار فى تتابع معين موجه فالنمو سلسلة متصلة الحلقات تعتمد كل واحدة على سابقتها وتمهد للتالية وفى كل مرحلة بتعديل سلوك الكائن وتتغير .

٧- السلوك دائما سلوك توافقى فالفرد يسعى إلى حل ما يعترضه من مشكلات وإلى تحقيق أقصى درجات النمو لذلك يستخدم الفرد الحيل الدفاعية كالإسقاط والتقمصى والتبرير والحيل الفعالة كضبط النفس والمرح والاتصال بالآخرين لكى يحقق أهدافه التى يسعى إليها ومحققا لذاته الثبات والاستقرار .

الأسس البيولوجية والنفسية للسلوك :

يولد الطفل البشرى وهو أقل الكائنات الحية قدرة على المحافظة على حياته رغم أنه أكثرها تعقيداً من ناحية التكوين البيولوجى ولا يعرف الطفل الوليد ماهية السلوك الاجتماعى غير أن إمكانياته البيولوجية وخصائصه النفسية لا يمكن تجاهلها لأنها الأسس التى تتخذ لتحويله إلى كائن اجتماعى وفيما يلى أهم الأسس البيولوجية النفسية للسلوك وهى :

ا - الوراثة والبيئة :

يقصد بالوراثة كل ما يأخذه الفرد عن والديه عن طريق الكروموزومات والجينات . ويقصد بالبيئة النتاج الكلى لجميع الموثرات التى تؤثر فى الفرد من بداية العمل حتى الوفاة . وفى كل دورة الحياة يهيىء التكوين البيولوجى للإنسان إمكانياته ويتوقف نمو هذه الإمكانيات وتطورها على الظروف الخارجية .

وكان هناك اتجاهان متعارضان لتحديد دور كل من العوامل البيولوجية والخارجية فى تفسير السلوك البشرى :

أحدهما : ينسب السلوك إلى البيئة (خاصة الاجتماعية) وأثرها.

والآخر : يغروها إلى الوراثة .

وبالتدريج بدأ يبدو أن هذين العاملين يتوقف كل منهما على الآخر وأن عوامل البيئة تعمل مع عوامل الوراثة منذ اللحظة الأولى للحمل ، والعملية عملية تفاعل وليست عملية إضافة فالتغذية وكمية الأكسجين وافرازات الغدد والحالة الجسمانية للأم مثلا تعتبر من العوامل البيئية فى داخل الرحم التى قد يكون لها أثرها البالغ فى نمو الجنين .

٢- التكوينات الجسمانية :

لا تؤثر الوراثة فى السلوك بطريق مباشر إنما تؤثر فيه بطريق غير مباشر عن طريق التكوينات الجسمانية وهذه التكوينات لها أهميتها من حيث أنها تحدد امكانيات التفاعل مع البيئة ، فالإنسان لا يطير لأن تكوينه الجسمانى لا يساعده على ذلك كما أن السلوك لا يتم إلا عن طريق تكوينات جسمانية فنحن نرى بالعينين ونسمع بالأذنين ونتكلم باللسان ونلمس باليدين ونمشى بالقدمين وهذه عمليات سلوكية ظاهرة تتم عن طريق الجسم والتكوينات الجسمانية كما أننا نفكر ونتذكر ونتخيل ونتصور هذه العمليات سلوكية غير ظاهرة وتتم أيضاً عن طريق تكوينات جسمانية معينة وأهم هذه التكوينات الجسمانية ثلاث هى :

أ- الأعضاء الجسمية المستقبلة للمؤثرات الحسية الخارجية والمفصلية .

ب- الجهاز العصبى .

ج- العضلات والغدد .

٣- الدافعية :

فى يوم من الأيام فسرت الدافعية بالغرائز ، فكانت الغرائز هى القوى التى تحرك الانسان والحيوان ثم تخلى عنها العلماء لأنها غيبية ولا تفسد السلوك كما أثبت عدم صحة الأسس التى تقوم عليها وفسرها آخرون بأنها أفعال منعكسة ، والواقع تعددت النظريات التى تقوم بتفسير الدافعية حتى أثبت البحث العلمى أن دوافع الإنسان عبارة عن حاجات فسيولوجية عضوية والحاجات يصحبها دافع ، وإذا استثيرت الحاجة اختل التوازن وأصبح الكائن فى حالة توتر يزول هذا التوتر ويعود التوازن بالمشبع المناسب .

٤- الانفعالات :

الانفعال حالة توتر فى الكائن الحى تصحبها تغييرات فسيولوجية داخلية ومظاهر جسمانية خارجية غالباً ما تعبر عن نوع الانفعال . وكما تؤدى استثارة الدوافع الأولية أو المكتسبة إلى اختلال توازن الفرد ، تؤدى الحالة الوجدانية المعروفة بالانفعال إلى اختلال التوازن أيضاً .

وكان علماء النفس القدامى يقولون أن الإنسان يولد بثلاث انفعالات فطرية فيه هو الحب – الخوف – الغضب ، غير أن الاتجاه الحالى يرى أن الطفل يولد باستعداد عام للتهيج تتمايز منه انفعالاته المختلفة بالتعلم . والحالات الانفعالية ليست مجرد حالات فسيولوجية ، بل تتأثر إلى حد كبير بالثقافة والتعليم ، وتؤثر الثقافة فى الانفعالات من حيث المواقف التى تبعث على الانفعال ومن حيث الطريقة التى يعبر بها الفرد عن الانفعال وليس من الضرورى أن يؤدى الانفعال إلى اضطراب السلوك وعدم انتظامه إذاً الواقع أن التغيرات الداخلية فى كثير من الانفعالات تدل على تنظيم العمليات الداخلية تنظيماً يسمع بمجابهة الموقف الجديد والانفعالات المعتدلة سواء صاحبت السلوك أما كانت لها قوتها الدافعية الخاصة تعتبر عمليات منظمة لا ضرر منها . إنما يتوقف الضرر على مدى حدة الانفعال.

٥- التعلم :

تطرأ التغيرات على الاستعدادات التى يولد بها الكائن البشرى عن طريق عمليتين هما النضج والتعلم ، ويطلق النضج على عمليات النمو المختلفة التى تؤدى إلى تغيرات فى الكائنات الحية يمكن ملاحظتها بمرور الوقت وتتميز التغيرات التى تحدث نتيجة النضج بأنها تظهر وتتطور فى كل الأفراد الذين يبدون كأفراد أسوياء لهم نفس التكوين الفسيولوجى واستجابات الطفل عند ميلاده تكون عامة وليست محددة ولا يستجيب للمؤثرات المختلفة إلا بأفعال منعكسة وغير متعلمة وعددها قليل وبالتدريج يأخذ الطفل فى الاستجابة للمؤثرات المحددة فالتعلم يبدأ عند الطفل مبكراً حيث تبدأ الأم فى الاستجابة لصرخاته وتغير له ملابسه ويحدد العلماء ما يتعلمه الفرد بما يأتى :

- العادات والمهارات
- المعلومات والمعانى
- السلوك الاجتماعى
- المميزات الفردية الخاصة

أثر الوراثة والبيئة فى السلوك

فى داخل الأسرة الواحدة توجد فروق بين الأخوة الأشقاء بالرغم من معيشتهم فى بيئة واحدة فهل يمكن أن ترد الفروق الفردية إلى الوراثة أم البيئة هذه القضية من القضايا التى حظيت بالاهتمام وبالعديد من الدراسات فى تاريخ علم النفس بحيث انقسم العلماء إلى ثلاث مجموعات لكل منهم حجته وما يؤيد وجهة نظره .

اولا : أنصار الوراثة :

يرى أنصار هذا الاتجاه ان الوراثة هى العامل الأساسى فى إظهار الفروق الفردية والدليل على ذلك درجة التشابه بين أفراد العائلة الواحدة فلقد بينت الدراسات أن الإخوة الأشقاء يتشابه ذكاؤهم أكثر من الإخوة غير الأشقاء ويزيد التشابه فى حالة التوائم عنه فى حالة الإخوة الاشقاء.

يضاف إلى ما سبق ما بينته الدراسات من أثر الوراثة فى درجة انفعالية الشخص وفى احتمال الإصابة بالمرض العقلى وبالمرض النفسى فى العديد من السمات الجسمية مثل لون العين وعمى الألوان واحتمال الا'صابة بمرض السكر .

وتسهم معرفة الفروق الفردية فى تحقيق الصحة النفسية للأفراد فتوجه الفرد للدراسة أو المهنة التى تناسبه واعداده للالتحاق بها وتدريبه عليها وتحقيقه للنجاح فيها يساعده على أن يتمتع بالصحة النفسية .

ثانيا : أنصار البيئة :

يرى أنصار هذا الاتجاه أن البيئة هى العامل الأساسى فى إظهار الفروق الفردية لأن البيئة تؤثر فى الجنين منذ تلقيح البويضة فى الرحم والدليل على ذلك أثر العوامل الولادية المختلفة على سلوك الطفل وأثر الحرمان من التنبيهات أو التعرض لبيئات غنية بالمثيرات على النمو .

فلقد وجد أن تغذية الأم الحامل وما تتعرض له من خبرات انفعالية وأمراض وما تتعطاه من أدوية وعقاقير – خصوصا السموم – وما تتعرض له من إشعاعات كلها تؤثر على الجنين وتساهم فى إحداث الفروق الفردية .

وكذلك بينت الدراسات ان حرمان الكائنات الحية من التنبيهات يؤثر فى عديد من مظاهرها السلوكية فتربية بعض الحيوانات فى الظلام أدت إلى اختلاف أدائها الحسى وقدرتها على الإبصار وقدرتها على التعلم وحالات الأطفال المتوحشين الذين ربتهم الدببة والخنازير والقرود فى الغابات كان سلوك تناولهم الطعام مثل سلوك الحيوانات كما كانت تعوزهم القدرة على الانتباه لما يحيط بهم إلا بالنسبة لما يشبع حاجتهم مثل سقوط ثمرة الفاكهة على الأرض كما كان هؤلاء الأطفال عاجزين عن القيام بغالبية العمليات العقلية اللازمة للتعلم هذا ولم يلاحظ عليهم سلوك البكاء أو الضحك أو الشعور بالخجل من العرى أو الشعور الجماعى نحو الانسان بل كانوا يتحاشون بنى الإنسان ويؤثر حرمان الكائنات الحية من التنبيهات فى العديد من المظاهر السلوكية الحسية والعقليةوالوجدانية وهذا دليل على أثر البيئة .

انصار التفاعل بين الوراثة والبيئة :

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن التفاعل بين الوراثة والبيئة هو المسئول عن إظهار الفروق الفردية والدليل على ذلك المقارنة بين التوائم المتماثلة التى تعيش أفراد كل زوج منها فى نفس البيئة والتوائم المتماثلة التى يعيش أفراد كل زوج منها فى بيئة مختلفة .

كذلك إذا ورث الإنسان استعدادا موسيقيا عاليا ولكنه عاش فى بيئة لا تشجع الموسيقى فان هذا الاستعداد لن ينمو وإذا ورث الفرد استعدادا للإصابة بمرض نفسى وكانت ظروف البيئة التى يعيش فيها ظروفا صحية مناسبة فإن احتمال ظهور المرض النفسى سيكون ضعيفا

ترجع الفروق الفردية إلى تفاعل الوراثة مع البيئة والدليل على ذلك الفروق الضئيلة بين التوائم المتماثلة الذين ربوا مجتمعين والتوائم الذين ربوا منفصلين . قد يرث الفرد الاستعداد الموسيقى أو الاستعداد للمرض العقلى والنفسى ولكن البيئة لا تظهر ذلك وهذا دليل على تفاعل الوراثة مع البيئة .

السلوك الشخصى والاجتماعى فى الطفولة الوسطى من ٦:٨ سنوات:

يعتبر الناشىء الصغير فى هذه المرحلة صبياً أو فتاة فهو قد ودع أساليب السلوك « العيالى » الذى كان يصبغ سلوكه الاجتماعى والشخصى والواقع أن النضج فى مختلف نواحى الطفل الجسمية والنفسية يظهر بوضوح فى سلوك الطفل الشخصى والاجتماعى مع أمه مع والده فى اتجاهه نحو الأسرة وفى لعبه .

وعلاقة الطفل بأمه فى تلك الفترة علاقة عطف وحب وطاعة ، فهو يطيعها ويعاونها ويشعر بأمه إذا أصابها مرض أو مكروه وهو فخور بها فى المجتمع يناقشها أحياناً فيما تقول . وأحياناً لا يعجبه سلوكها فينعتها ببعض الألفاظ كاللؤم والمكر والخطأ وما إلى ذلك ولكنه مع كل هذا لا يشعر براحة كبيرة إذا رجع من المدرسة ولم يجد أمه فى المنزل وفى أخريات هذه المرحلة يصعب عليه أن يلتمس معونتها فى بعض الأمور التى يستطيع أن يقوم بها بنفسه ولنفسه نظرا لقيامه بها بذاته .

أما علاقته بأبيه فانها تقوم على أسس الاحترام والإعجاب والخوف فالطفل فى هذه الفترة يتقبل كلام الوالد على أنه قانون غير قابل للمناقشة . وفكرة الطفل عن أبيه أنه الانسان الذى يعرف كل شىء وهو لذلك يقبل عليه وقت وجوده فى المنزل ولا يود أن يدع أباه دقيقة واحدة لنفسه إذ يود أن يستغل وقت أبيه فى المنزل لنفسه فهو يسر جداً من اللعب مع أبيه .

والطفل فى هذه الفترة يلتصق بأسرته التصاقا كبيرا فهو فخور بوالديه وبنظام المنزل وبمكانته فى المائدة ، وبمكانته فى الأسرة ويبذل جهده فى الأمور المنزلية ويسر جداً من النزهات العائلية ويميل إلى زيادة أفراد الأسرة الآخرين وخاصة الجد والجدة وكثيرا ما يلح على الأم أن تنجب وليداً جديداً .

أما عن اللعب مع الأطفال فى هذه الفترة فهو امتداد للعبهم فى الفترة السابقة وإن كان يشوبه نوع من التقدم فالطفل يلعب لعباً منعزلاً . فهو قد يشارك فى لعب جماعة من خمسة أفراد وأن هذه الجماعة مهددة بالتفكك فقد ينسحب منها أى عضو دون أدنى سبب والطفل يلعب بين الآخرين . ولعبه مازال إيهامياً

والتعاون بين الأطفال فى لعبهم فى هذه الحالة لازال ضعيفاً وبالتالى لا يسمح بالقيادة الكبيرة التى توجد على رأس الجماعات الكبيرة لأن وعى الطفل بالجماعات لازال ضعيفاً .

فهو لا يهتم بخير الجماعة ولا بالمحافظة عليها بل يهتم بالتعبير عن نفسه وإشباع ذاته كما أن الطفل فى هذه المرحلة لا يعى شيئا عن الاختلافات العنصرية ، أو الفرق بين الأجناس المختلفة .

فهو يود أن يلعب مع أى طفل آخر بغض النظر عن منزلته الاجتماعية ولونه ودينه ونود أن نشير قبل أن ننتقل إلى المرحلة الثانية إلى حقيقة هامة كشفت عنها البحوث التجريبية فى علم نفس الطفل فيما يتعلق بالحكم الخلقى عند الأطفال : فقد رأينا أن نمط سلوك الأطفال قبل الخامسة يبنى على أساس العلاقة بين الطفل ووالديه بين السلطة والطاعة أو عدم الطاعة .

أما فى السادسة والسابعة فيحدث تغير هام هو ظهور مبادىء أخلاقية جديدة هى مبادئ المساواة وهى نقطة هامة لأنه عن طريق المساواة ينشأ الإخلاص والصداقة والتسامح ويبدأ الطفل فى فهم مدلول هذه الأمور بالممارسة الحقة ، ومن ثم تنمو القيم الأخلاقية للطفل باعتدال وروية تعبر عن نفسها فى خبراته الواقعية فى حياته اليومية .

ويقصد بذلك أن هذه القيم الأخلاقية لم تزل واقعية وثابتة ومتصلة بحياته اليومية وليست مجردة فى ذاتها وذلك لأن الحكم الأخلاقى المجرد لازال بعيدا كل البعد عن مدارك الطفل فى هذه المرحلة .

السلوك الشخصى والاجتماعى فى الطفولة المتأخرة :

يحتك طفل هذه المرحلة بوسط الكبار فالطفل يتتبع بشغف ما يجرى فى وسط الرجال . والبنت تتبع بشوق ما يحدث فى وسط السيدات ، والطفل هنا يعد نفسه لكى يصبح كبيراً فالولد يبدى استعدادا كبيرا لقبول آراء والده واخوته الاجتماعية ويتعصب لآراءه ومعتقداته . ويلوح أنه على استعداد لمناقشة بعض المسائل الاجتماعية إذا أرشده فى مناقشته شخص كبير من يثق بهم وكذلك الحال

فى الفتاة فإنها تهتم بالأمور المنزلية وبالرأى العام ومشاكل الزواج ومشاكل الأسرة وبالمظهر الخارجى وارتداء أحدث الأزياء وهذا كله ناتج عن قابلية الطفل فى هذه المرحلة للإيحاء وهناك تكمن قيمة تدريس المواد الاجتماعية إذ يمكن للمدرس الناجح أن يدرب الطفل على الآراء الديمقراطية . كالحريات واحترام الغير واحترام النفس ويشعر الطفل فى هذه السن بفرديته وفردية غيره من الناس فإذا سألته عن مدرس اللغة قال لك أنه مدرس طيب إلا أنه يحب بعض الأفراد ويقسو على البعض الآخر . وتقدير فردية الطفل هام جداً فى هذه المرحلة ومن الضرورى أن ينال الطفل هذا التقدير فى المنزل والمدرسة ولعل الإخصائيات الاجتماعيات أكثر الناس شعوراً بنتائج عدم تقدير شخصية الطفل فى المنزل فى هذه المرحلة أو غالبا ما يتجه الأطفال المهملون فى هذه المرحلة نحو النجاح بأساليبه المختلفة البسيطة منها والمعقدة .

كما أن المدرس يلمس نتيجة اهمال شخصية الطفل فيما يسميه هو تأخر دراسى الذى غالبا ما يعود إذا انتفى عامل التأخر العقلى إلى جو المدرسة نفسها بل إلى المدرس نفسه بجانب بعض العوامل الأخرى . فهدف المدرسة والمنزل نحو الطفل هذه المرحلة يجب أن يركز حول إنماء شعور الطفل بفرديته فى الملكية وفى التعبير عن آرائه وفى إعطائه بعض المسئوليات البسيطة وفى تنظيمه لشئونه الخاصة ولهذا كان واجب المدرسة فى المجتمع الديمقراطى أن تركز كل اهتمامها على إكساب أطفالها المهارات مهما كانت أساليبها وليست ثمة سبب معقول يجعلنا نتمسك فى القرن العشرين بأساليب المهارات التقليدية التى تؤسس على اللغة . ويجب أن تتاح الفرص المتكافئة للطفل ذى القدرات الميكانيكية الممتازة أن يكتسب أكبر ما يمكن من مهارات وأن يعبر عنها فى المجتمع بأى صورة يشاء حتى ينال تقدير المجتمع وممارسة المهارات الاجتماعية تخدم غرضين هامين هما :

أولا : أنها تقوى شعور الطفل باحترام نفسه :

وثقته بها الأمر الذى يساعده على مقابلة مرحلة المراهقة بثقة وطمأنينة.

ثانيا : أن المجتمع بهذه الوسيلة يحمى نفسه من جناح الصغير فى هذه المرحلة والتى تليها .

وثمة ملاحظة أخرى يمكن ملاحظتها بسهولة فى هذه السن هى أن الأطفال لا يميلون للاختلاط مع أطفال الجنس الآخر فالأولاد يتجمعون معا والفتيات يتجمعن معا وكل مجموعة تأتى من الالعاب ما يتفق وتطورها وإعدادها للمرحلة القادمة وفى المراهقة .

ملاحظة سلوك الغير :

عرفنا أنه لا يجوز لمن يريد دراسة علم النفس أن يقتصر على دراسة نفسيته بالتأمل الباطنى وإنما يجب أن يتعداها إلى دراسة النفسيات الأخرى ولكن حيث أنه لا يمكن لأى شخص أن يلاحظ بطريقة مباشرة ما يجرى فى نفس أى شخص آخر فيصح أن يلجأ إلى ملاحظة السلوك الظاهر وإلى تفسير هذا السلوك على أساس تجاربه الخاصة فإذا لاحظ انبساطا فى أسارير وجه شخص عرف من هذا السلوك الظاهرى أنه مسرور ، وإذا لاحظ فى وجه تقلصا مع اتساع فى العينين وإقفال لقبضتى اليدين وتحريكها استنتج من كل هذه العلامات أنه غاضب ، وإذا لاحظ ما يشبه دلائل الانهاك مع تدلى فى جانب الفم وارتخاء قليل فى أجفان العينين مع انطفاء نسب بريقها استدل من ذلك على انه حزين ومن السهل علينا أحيانا أن نقوم بمثل هذه الاستنتاجات حتى عن الحيوان .

ولنضرب مثلا نبين به أن إدراك الحالات النفسية ليس دائما مبنيا على الاستنتاج الصريح وليس من الضرورى أن يكون مبنياً بحذافيره على خبرة شخصية سابقة . لنفرض أن رجلا وقع فى الشارع من نافذة أعلى منزل وصرخ صراخاً شديداً فالذى نقصده بقولنا أن إدراك الحالة النفسية ليس مبنيا على الخبرة السابقة هو أن الناظر يقول لنفسه مثلا عندما كنت أقع وأنا صغير كنت أحس بألم خاص وهذا الشخص واقع إذن لابد أنه يشعر بنفس الشعور ولكن حيث أن هذا الشخص أكبر مما كنت وحيث أن المسافة التى وقع منها أكبر إذن لابد أن يكون إحساسه بالألم أكبر بكثير مما كنت أحس به آنذاك .

هذا بالطبع لا يحدث ولكن الذى يلاحظ هو اننا ندرك إلى حد ما درجة تألمه دون تحليل . وهناك صعوبة تقابلنا عند دراسة المظاهر الخارجية لسلوك الغير هى أن المرء كثيراً ما يشتت فى استنتاجاته . وهذه الاستنتاجات تكون أقرب إلى الصحة فكلما كان ما تلاحظه قريبا منا فى سلوكه وطبيعته وتركيب جسمه لذلك كانت تفسيراتنا لسلوك الكبار أكبر صحة فى الغالب من تفسيراتنا لسلوك الأطفال ، وفهم الرجال للرجال أسهل من فهمهم للنساء وإدراكنا لسلوك أفراد أمتنا أقرب وأكثر صحة من إدراكنا لسلوك أفراد الأمم الأخرى ، واستنتاجاتنا عن عقليات البشر أوثق من استنتاجاتنا عن عقليات الحيوان .

ونعتمد عادة عند ملاحظتنا لسلوك الفرد ما على وسائله التعبيرية ومن وسائل التعبير حركات الأيدى والأرجل وما يحدث فى الوجه من التغيرات ولكن أهم وسائل التعبير عند الإنسان هى اللغة ويناظرها عند الطير والحيوان الأصوات المختلفة التى تخرجها والتى تدل على حالات نفسية مختلفة فالطير مثلا يغنى فى أوقات ويصيح صيحة خوف فى مناسبات . كذلك الكلب يخرج أصواتا مختلفة تدل على التألم أو الغضب وما إليهما وما يزيد الصعوبة التى تواجهنا فى دراسة الأطفال والحيوان أن الطرق التعبيرية الصوتية وغيرها محدودة وهى فوق ذلك بعيدة إلى حد ما عن الطرق التعبيرية عندنا فلابد لنا إذن عندما نريد أن ندرس الحالات النفسية عند الغير دراسة صحيحة أن ندخل فى حسابنا ما بيننا وبينهم من تشابه فإن كان التشابه قليلا وجب استعمال شىء من التعرف لتصور حالاتهم النفسية من سلوكهم الظاهرى .

اضطرابات السلوك الأولية

ويقصد بها مجموعة من المظاهر السلوكية غير العادية أو غير المألوفة التى قد تظهر فى اضطرابات أخرى كالذهان أو الحالات السيكوسوماتية إلا أنها تعتبر ثانوية فى هذه الحالات أما إذا ظهرت دون وجود النوعين الآخريين فتعتبر أولية وأساسية .

وتتمثل فى اضطراب أو اختلال العادات أو اضطرابات السلوك أو الحالات العصابية ، وقد تتجمع هذه الأنواع فى فرد واحد ولكن عادة يغلب أحدها على

سائرها إلى درجة تجعلنا نستطيع تقديم الأطفال الذين يعانون من اضطراب نفسى أو سلوكى حسب تقلب ووضوح نوع من هذه الأنواع لديه .

واضطراب العادات هو عبارة عن مشاكل سلوكية تنتج من اضطراب فى القيام بالوظائف البولوجية الهامة مثل مشاكل الأكل والاخراج والنوم ويحدث ذلك فى مرحلة المهد ولكنها تستمر إلى ما بعد تلك المرحلة .

ومن أمثلة اضطراب العادات التى قد تستمر مع الطفل مص الأصابع أو قضم الأظافر ، ومن أمثلة المشاكل التى تتعلق بالنوم عدم النوم بسرعة والأحلام المزعجة وتتصل هذه المشاكل جميعاً اتصالا وثيقاً بالقلق والتوتر النفسى وكثيراً ما تكون وسائل التخلص من مواقف مكروهة للطفل أو للابتعاد عن البيئة التى حوله. أى أنها محاولات فاشلة للتكيف مع أنها مظاهر غير عادية إلا أنها تسبب راحة للطفل ويجب مساعدة الطفل على التخلص منها لئلا تستمر معه إلى ما بعد مرحلة الطفولة .

وتختلف المشاكل الناتجة من اضطراب العادات عن الناتجة من اضطراب السلوك فى الجنوح والتخريب والسلوك الإجرامى ، وهذه عادة تظهر فى سن متأخرة وبخاصة فى الطفولة المتأخرة والمراهقة وتفسير ذلك أن هذه المشاكل تتطلب قوة بدنية وحركية ولاتوجد فى مرحلة الطفولة المبكرة ويلجأ الطفل عادة إلى مثل هذا السلوك لإشباع حاجاته بالقوة . كما قد يكون أحيانا نتيجة الشعور بالعداء نحو الوالدين ورفض الوالدين .

ويدخل فى اضطرابات السلوك الأولية بعض المظاهر العصبية مثل شدة الغيرة وزيادة النزعات العدوانية والخوف والمرض Phobia وتختلف هذه المشاكل التى ذكرناها سالفا فى أنها نتيجة صراع داخلى عند الطفل وليست صراعا بينه وبين البيئة . ففى حالة الغيرة مثلا نجد أن الطفل يعانى صراعا بين حبه لإخوته وغيرته منهم . أما فى حالة تعطيل النزعة العدوانية فإن الطفل يكون فى صراع بين رغبته فى الاعتداء على شخص ما وعدم استطاعته ذلك ويبدو عليه الخجل وعدم محاولته الدفاع عن حقوقه .

أما الخوف المرضى فينتج من شعور العدوانية تجاه شخص ما وبخاصة الوالدين ويرى اكلرمان Aclerman أن جميع اضطرابات السلوك الأولية تحدث كرد فعل لما يعانيه الطفل فى بيئته وخاصة حرمانه من الوالدين أو عدائهما له فيلجأ الطفل إلى أنواع من السلوك تتلخص فى محاولة التغلب على بيئته وإرغامها على إشباع حاجته الأولية ، وتتمثل ذلك فى السلوك العدوانى أو السيكوباتى .

وقد يلجأ الطفل للانسحاب من البيئة ويتمثل ذلك فى الانطواء على النفس أو ممارسة العادات السيئة ومحاولة الطفل حفض التوتر الداخلى عن طريق بعض العادات السلوكية مثل مص أصابعه ويدل ذلك على وجود عوامل انفعالية فى صلاته مع الوالدين . كما يستجيب الطفل للصراع بينه وبين بيئته بالقلق الزائد أو تحويل هذا الصراع إلى صراع داخلى يظهر فى أعراض مرضية مثل الحالات العصبية أو الأعراض السيكوسوماتية .

العجز الوراثى عن اتباع السلوك القائم على العقل :

هناك أفراد كثيرون يسيئون السلوك بسبب العيوب التى جاءوا بها معهم إلى هذا العالم . ومن العسير فى أغلب الأحيان تمييز هذه العيوب الوراثية من العيوب البيئية المكتسبة . وذلك لأننا نتاج الوراثة والبيئة فى آن واحد وتعمل البيئة على استفحال نقص الوراثة ، فمثلا نرى ضعف الأنسجة والعقل الوراثى لدى أطفال المسكرين والمدخنين يزداد خطورة فى البيئة المهملة والجاهلة وهكذا تنمو العيوب الموروثة خلال الحياة أى البيئة وكثيراً ما نستطيع تمييز منظر شخص ما إذا عرفنا أسلافه البعيدين فأحيانا تتميز إحدى الأسر طوال أجيال عديدة ببعض ملامح الوجه وبعض صفات العقل كما بين جالتون Galton وكذلك الحال بالنسبة إلى الضعف العقلى والجنون . أما الإجرام فإنه لا ينتقل بالوراثة بقدر اتصاله بأحد الأمراض العقلية فابن اللص أو القاتل أقل عجزا عن اتباع سلوك عقلى من ابن الشخص المجنون مثلا .

ونجد الأشخاص الذين ترجع عيوبهم السلوكية إلى الوراثة فى جميع الطبقات الاجتماعية نجدهم لدى الأغنياء والفقراء ولدى المشتغلين بالأعمال العقلية والعمال والفلاحين فكثيرا ما نجد هؤلاء الأصناف من البشر بين ذرية

المسكرين ومدمنى المخدرات والمصابين بالزهرى كما ينحدرون من الأوساط التى تظهر فيها بلهاء ومعتوهون ولكننا قد نعثر عليهم أيضا فى العائلات ذات الأخلاق السامية لأن النقص العصبى أو العقلى لدى أحد الأسلاف قد يظهر فجأة تبعاً لقوانين الوراثة ، فهؤلاء الأشخاص المحكوم عليهم منذ ولادتهم بالعجز التام عن توجيه حياتهم الخاصة أو اتباع السلوك القائم على العقل .

وتوجد درجات كثيرة للعجز عن اتباع السلوك السوى فقد تصل إلى درجة من السلوك لا تصلح مطلقا لحرية القيام بتوجيه حياتهم وهى تتكون من المجانين والمعتوهين والمجرمين ويتحتم علينا سجنهم ، وتوجد طائفة ثانية تتكون من لديهم شىء من النقص الجسمى أو العقلى . ومن المستحيل أن نميز فى هؤلاء الناس الذين لا يعجزون عن اتباع السلوك السوى الا جزئيا بين من لديهم ميول من أصل وراثى ومن هم ضحايا تربيتهم ووسطهم ولكن هؤلاء الأشخاص العاجزين عن اتباع السلوك القائم على العقل أضر للمجتمع ممن أدى بهم عجزهم التام إلى السجن .

العجز المكتسب عن السلوك القائم على العقل :

أسبابه – انعدام التكوين الفسيولوجى والأخلاقى خطأ التربية – إدمان المشروبات الكحولية .

كثير من الأشخاص التى أتيحت لهم وراثة جيدة يعجزون بالرغم من ذلك على اتباع السلوك القائم على العقل بسبب مساوىء لا تقل خطورة عن الحالات التى ترجع إلى أصل وراثى ، وترجع هذه المساوىء إلى ظروف مثلا حمل الطفل ووضعه ونموه وإلى مهاجمات الميكروبات والبكتريا والفيروسات وميكروبات الزهرى وإلى التسمم بالكحول أو السموم الأخرى . وإلى العادات الرزيلة التى تقع ضحاياها منذ بداية الحياة فى غالب الأحيان .

ومن المحتمل أن تكون ٢٥٪ من الحالات التى تتسم بالعته ترجع إلى ضروب توقف أو اضطراب فى نموه تحدث خلال حياة الجنين أو لحظة الوضع أو فى أثناء الطفولة الأولى . ونمو العقل مرتبط بنمو الجسم لذلك كانت الاضطرابات

التى تحدث فى تكوين الغدد الصماء والجهاز العصبى خلال الطفولة تؤثر دائما فى السلوك ، فانعدام عنصر اليود مثلا فى الوديان العليا بجبال الألب أو الهيملايا يمنع نمو الغدة الدرقية وحينئذ يصاب الأطفال بالعته والورم المخاطى ، فمثلا يحتمل انعدام الفيتامينات والأملاح المعدنية ونقص المواد البروتينية سببا فى بعض ضروب الخلل العقلى والأخلاقى . وهناك أيضا العادات الفسيولوجية التى تؤثر فى السلوك والتى تترك أثرا فى الشخصية . فمثلا الإفراط فى تناول المشروبات الكحولية أو الإسراف فى إشباع الغريزة الجنسية .

نظريات تفسير السلوك :

١-نظريةالسلوكيين

لا تعترف هذه المدرسة بوجود استعدادات فطرية دافعة يرثها النوع . فالإنسان فى نظرهم عبارة عن آلة تستجيب لماحولها من منبهات ولا تحركه دوافع داخلية نحو غاياته بل منبهات مادية خارجية وداخلية ويقول أنصار هذه المدرسة أن العمل الذى يصفه غيرهم بأنه غريزى يمكن إرجاعه بالتحليل إلى سلسلة من الأفعال المنعكسة وحركات آلية يتبع بعضها بعضا دون حاجة إلى تدخل الشعور ودون حاجة إلى افتراض غرض يرمى إليه أو هدف أو دافع يوجهه نحو هدف ، ولكن لاقت هذه المدرسة كثيرا من النقد .

نقد السلوكيين : لاقت هذه المدرسة نقدا كثيرا من تفسيرها السلوك الفطرى أساس الأفعال المنعكسة إذ ربطت بين المنبه والاستجابة بصورة آلية محضة دون النظر إلى طبيعة المنبه ودون أخذ شعور الفرد وحالته النفسية الراهنة فى الحسبان فالمنبه الواحد قد يثير استجابة مختلفة فى أشخاص مختلفين أو فى الفرد نفسه من حين لآخر علاوة على أن هناك فروق كثيرة بين الفعل المنعكس والفعل الغريزى.

١- فالفعل المنعكس فعل يقوم به عضو واحد فى الجسم مثل اغلاق الجفن عند اقتراب جسم غريب من العين . أما الفعل الغريزى فعل مركب يقوم به الجسم كله باعتباره وحده متماسكة الأجزاء كما فى الهرب مثلا.

٢- الغرض من الفعل المنعكس هو حماية عضو خاص أما الغرض الغريزى هو حفظ الكائن الحى كله .

٣- كما أن الفعل المنعكس يتوقف على مثير خارجى أى أنه نشاط سلبى يتوقف على منبه فى حين أن الفعل الغريزى له دافع فطرى أو داخلى أو نشاط إيجابى يثيره منبه .

٤- يحدث الفعل المنعكس بدون شعور أو إرادة أما الفعل الغريزى فيصحبه شعور وكثيرا ما تتدخل فيه الإرادة .

٥- ليس من الممكن تعديل الفعل المنعكس أما الفعل الغريزى فمن الممكن تعديله يضاف إلى ما سبق أننا فى أفعالنا الغريزية نشعر بدافع أو حاجة إلى بلوغ هدف مهما كان الهدف غامضاً فى شعورنا هذا بخلاف ما يحدث فى الأفعال المنعكسة إذ لا نشعر بدافع يحفزنا على بلوغ هدف معين .

٢- نظرية " مكدوجل "

لقد افترض العالم الأسكتلندى مكدوجل زعيم المدرسة الغرضية وجود رغبات وحاجات ودوافع أولية عند الإنسان تنشأ من حياته الفطرية وقد سمى هذه الدوافع غرائز

فلما ثار بعض العلماء على هذه التسمية على أساس أنها توحى بأن سلوك الإنسان كسلوك الحيوان أى لا يتأثر بذكاء أو تجربة أو إرادة عدل مكدوجل عدولا تاما عن استعمال كلمة غريزة وأطلق على الدوافع الفطرية اسم «الاتجاهات النظرية» .

وقد عرض مكدوجل الغرائز الأساسية الإنسانية فى كتابه الأول فى الغرائز منها غريزة البحث عن الطعام - والمقاتلة - الهرب - الجنس - الخضوع والسيطرة وحب الاستطلاع - وغيرها من الغرائز .

وقد قسم مكدوجل الدوافع إلى قسمين دوافع فطرية أولية ودوافع فطرية

ثانوية . من الدوافع الفطرية الأولية مثل الحاجة إلى الطعام أو دافع الجوع ودافع العطش ومن الدوافع الثانوية مثل الحاجة إلى الأمان ، أو الحاجة إلى الوضع الاجتماعى الحاجة إلى الحب وغيرها من الدوافع التى قسمها مكدوجل .

٣- نظرية فرويد (مدرسة التحليل النفسى)

وصاحب هذه النظرية هو الطبيب النفسى سيجموند فرويد فنظريته شبيهة بنظرية مكدوجل ، فهو يعترف بوجود دوافع أولية تحرك السلوك الإنسانى، وأنها غائية بمعنى أن لها غاية تصبو إليها وتسعى إلى تحقيقها إلا أنه يرى أن دوافع الإنسان ورغباته يمكن أن ترد إلى غريزتين يشترك فيها أفراد النوع الإنسانى هما غريزة الحياة وغريزة الموت أو العدوان .

وقد ذكر فرويد أن هاتين الغريزتين تحركهما طاقة حيوية عامة سماها (الليبيدو) Libido وتتضح مظاهر غريزة الحياة فى القوة التى تدفعنا إلى البناء والخلق وغايتها المحافظة على النوع الانسانى ويمكن القول أنها تشمل غرائز البحث عن الطعام والجنسية والمقاتلة والهرب .

– أما غريزة العدوان فتظهر آثارها فى القوى التى تدفعنا إلى الهدم والتدمير . وقد اهتم فرويد بالغريزة الجنسية وهى تشمل جميع الدوافع أو الميول التى تهدف إلى اللذة الحسية والوجدانية . وهى ترمى إلى ارضاء الغريزة الجنسية وكان فرويد يعتقد فى أول الأمر أن العدوان ينشأ من كبح الميول الجنسية وكبتها . وقال ان العدوان ليس مجرد وسيلة ولكنه غاية فى ذاته .

– بهاتين الغريزتين استطاع فرويد أن يفسر السلوك الإنسانى فى جميع أحواله فى الكبير والصغير ، السوى والشاذ ، الفرد والجماعة ، وبعبارة أخرى فقد استطاع أن يفسر السلوك الإنسانى بمبدأ واحد وهو : أن كل سلوك نتيجة صراع وتراخى بين غريزتى الحياة والموت بين الغريزة الجنسية وغريزة العدوان .

وقد وجه نقد إلى نظريات الغرائز واعتراض بعض العلماء على نظرية فرويد وأخذوا عليه أنه جعل العدوان يطلب لذاته كغاية أى جعله غريزة قائمة بذاتها أى مظهرا لغريزة الموت وأخذوا عليه أيضا توسعه فى شرح مفهوم الغريزة الجنسية .

٤- نظرية المجال (مدرسة الجشطلت)

ذكرت هذه المدرسة أنه لا يمكن فهم سلوك الكائن الحى إلا بالنظر إلى مجاله الكلى ويتكون المجال الكلى من عناصر ثلاث تؤلف وحدة متفاعلة متكاملة وهذه العناصر هى :

أ- البيئة الواقعية بناحيتها الماديةوالاجتماعية .

ب- الحالة النفسية والجسمية الراهنة للفرد .

ج- خبرات الفرد السابقة .

وعلى هذا اذا حدث تغير أو اضطراب فى واحد من هذه العناصر تجاوبت أجزاء هذا التغيير أو الاضطراب فى أنحاء الوحدة جميعها ، ويقال ان المجال قد اختل توازنه وينعكس هذا الاختلاف على شعور الفرد على صورة توترات وحاجات وانفعالات تحرك سلوكه إلى غايات تلوح له فى المجال . ويفسر أنصار هذه المدرسة التوازن فى المجال بأنه مبدأ التعديل الذاتى أى بهذا المبدأ ينزع كل كائن حى إلى الاحتفاظ بتوازنه من تلقاء نفسه فإذا أحدث ما يخل توازنه الداخلى قام الكائن الحى بالأفعال اللازمة لإعادة توازنه ، فمثلا إذا اشتدت الحرارة زاد إفراز العرق ، فإذا لم يفلح الكائن الحى فى استعادة توازنه مرض أو هلك ويسمى اختلال التوازن هذا بالحاجة .

- وعلى هذا ترى هذه المدرسة أن الكائن الحى ينزع إلى الاحتفاظ بحالة توازن فى علاقته بالبيئتين العادية والاجتماعية اللتين تحيطان به وإزاء المنبهات التى تصدر من داخله أيضاً . فإذا اختل التوازن شعرالفرد بحالة من التوتر ومن ثم يقوم بنوع من السلوك وهو سلوك يستهدف إزالة هذا التوتر واستعادة التوازن . ونخزج من هذا بأن الدافع فى نظر هذه المدرسة حالة من التوتر تثير السلوك . أو هو ظرف أو عامل منبه يثير السلوك ويوجهه حتى يزول هذا الظرف ، ولكن وجهت لهذه النظرية نقد فقالوا أنه فى نظرية المجال لا تكفى أن نقول أن سلوك الإنسان يندر أن يحركه دافع واحد . ولكنه يحركه دوافع متعددة يضاف إلى هذا أن مفهوم « التوتر » وحده لايجيب على كل الأسئلة التى يثيرها موضوع الدوافع ،

فهو يعنينا على أن نفهم لماذا ينشط الفرد لكنه لا يقول لنا لماذا يتصرف الفرد على هذا النحو أو لماذا يختار هذا دون غيره ؟

العقد النفسية وأثرها فى السلوك

والعقدة النفسية هى استعداد وجدانى مكتسبه دائم يؤثر فى سلوك المرء وشعوره ويفرض عليها طابع خاص وذلك على غير إرادة منه وتعرف أحيانا بأنها عاطفة مكبوتة أى لا تسمح لها الظروف الاجتماعية بأن تنال مأربها وصار بقاؤها فى حيز الشعور مؤلماً للنفس ومهدداً لكيانها .

وبالتالى فإن العقدة النفسية تؤثر فى السلوك فإن سلوك الفرد يتوقف عليها أكثر من توقفه على الموقف الخارجى . فالعقدة النفسية قد ترغم الفرد على الخوف من الماء أو الأماكن العالية دون أن يكون هناك داعيا للخوف فالعقدة عنصر ثائر على الشخصية لا ينسجم معها ولا يخضع لقانونها وضبطها كما أنها مصدر لأفعال شاذة ومشاعر غير عادية لا يستطيع الفرد السيطرة عليها أو التحكم فيها وأمثلة العقد النفسية التى تؤثر على السلوك كثيرة منها :

عقدة أوديب : وهى ميل الولد لاشعوريا لأمه وكراهيته للأب .

وعقدة الكترا : وهى ميل البنت لأبيها وكراهيتها لأمها .

فهذه كلها عقد نفسية تؤثر على السلوك الانسانى فلا يستطيع الفرد التحكم فيها أو ضبطها ولكنها تؤثر على سلوكه بدون أن يشعر وتنشأ العقدة من صدمة انفعالية عنيفة واحدة مثال حدثت لفتاة خرجت مع خالتها لفترة فى غابة فإذا بها تفلت منها وتخالف أوامر ولدتها التى أكدت عليها بألا تترك خالتها وبعد البحث عنها وجدتها ملقاة على صخرة بالقرب من مجرى ماء والماء ينسكب فوق رأسها وهى تصرخ من الرعب فأبعدتها خالتها ووعدتها بألا تخبر أمها وكان أن كبتت البنت هذه الحادثة المؤلمة ونشأ عن كبت هذه الصدمة أن أصبحت البنت تمكن منها الخوف من الماء الجارى أيا كان نافورات أو مجارى مياه أو الاستحمام وقد نشأ من صراع نفسى غير محسوم كالذى يحدث للموظف الذى يهينه رئيسه إذ تنشأ عنده حالة توتر وصراع نفسى بين الرد على الإهانة والخوف من الفصل

وكالصراع الذى يحدث للجندى فى ميدان القتال بين الميل للهرب وبين عاطفة احترامه لنفسه وهكذا أو الذى يحدث هنا أن الفرد يلجأ من غير قصد إلى طرد أحد الدافعين من الشعور ولكن الدافع المكبوت يظل نشطا يحاول الظهور إلى منطقة الشعور ومؤثرا بالتالى على السلوك وقد تنشأ العقدة من تربية غير رشيدة فى عهد الطفولة تسرف فى التدليل أو التخويف وتسمى العقدة باسم الانفعال الغالب الذى تركز حوله الانفعالات .

إذن العقد النفسية مجموعة من الذكريات وأحداث مكبوتة مشحونة بشحنة انفعالية قوية أى أنها استعداد لا شعورى مكبوت يجبر الفرد على ضروب شاذة من السلوك والشعور والتفكير .

وقد تنشأ العقدة من صدمة انفعالية واحدة أو تنشأ من خبرات مؤلمة متكررة أو من تربية غير سوية أو عناء فى عهد الطفولة أى إشعار الطفولة بأنه مخطىء مذنب من كل ما يفعل والعقدة استعداد لا شعورى لا يفطن الفرد إلى وجوده ولا يعرف أصله ومنشأة وكل ما يشعر به هو آثار العقدة فى سلوكه وشعوره وجسمة كالقلق الذى يغشاه أو الشكوك التى تساوره .

وقد تكون عناصر العقدة وملابساتها منسية نسيانا تاماً أو نسيانا جزئيا والأغلب أن ما ينسى منها هو تفاصيلها الهامة وتسمى العقدة بالانفعال الغالب فيها فيقال (عقدة النقص) ، (عقدة الذنب) (عقدة الغيرة) أو باسم الموضوع الذى تتركز حوله الانفعالات مثال (عقدة أوديب) ، (عقدة الأب) .

ويجب أن نقول أن العقدة النفسية لا تعنى المرض النفسى ولا يترتب عليها بالضرورة ظهور مرض نفسى .

وكما تؤثر العواطف على السلوك تؤثر أيضاً العقد النفسية على السلوك فمثلا فى العواطف ان ما تكونت لديه العاطفة الأمانة أو الصدق مثلا أصبح سلوكه متوقف على هذه العاطفة أكثر من توقفه على الظروف الخارجية وبالمثل العقد النفسية فإن سلوك الفرد يتوقف عليها أكثر من توقفه على الموقف الخارجى .

فالعقدة قد ترغم على الخوف من الماء أو الأماكن المنغلقة أو الأماكن العالية

دون أن يكون هناك داعيا إلى الخوف كما ترغمه على الإسراف فى الغيرة. أو الارتياب أو التظاهر دون أن يملك من أمره شيئاً هكذا .

فالعقدة عنصر يؤثر على الشخصية لا ينسجم معها ولا يخضع لقانونها وضبطها ، كما انها مصدر لأفعال شاذه ومشاعر غير عادية لا يستطيع الفرد السيطرة عليها أو التحكم فيها .

العلاقة بين الذكاء والسلوك

ان سلوك الفرد هو الأثر المادى لذكائه ولذا كانت ملاحظة سلوكه أو اختباره وسيلة لمعرفة مقدار ذكائه ومداه ، واننا نستدل على غباء الشخص باضطراب حركاته وتفكك أقواله ، وفشله فى أعماله وعلى عبقرية شخص آخر بحركاته المنسجمة وأقواله السديدة وأعماله الموفقة السعيدة .

فالسلوك يختلف باختلاف الذكاء ويتنوع بتنوعه ، فكما أن هناك ذكاء نظرى وذكاء اجتماعى وذكاء آليا نجد حالات أو أنواعا سلوكيا أو آثارا لأنواع الذكاء المذكورة .

والنتيجة الحتمية لذلك هى أننا إذا أردنا أن نقيس ذكاء فرد قياسا مضبوطا شاملا لجميع نواحيه وجب أن نلاحظه فى ظروف مختلفة وأن ندرس أنواع سلوكه فى جميع حالاتها . فالقياس يكون لاشك ناقصاً إذا كان مقصورا على دراسة السلوك الآلى دون غيره مثلاً .

وهذا هو السبب فى أن مختبرى الذكاء يرون من الضرورى تنوع اختبارات الذكاء بحيث تختبر أنواع الذكاء المختلفة فيكون منها ما يختبر الذكاء النظرى كالقدرة على التفكير والحكم والتحليل والموازنة بين الأشياء ومعرفة أوجه التشابه والاختلاف بين التجارب وإدراك العلاقات بين بعضها وبعض ، ويكون منها ما يختبر الذكاء الاجتماعى كحل المشكلات الخلقية والاجتماعية والسياسية .

وما يختبر الذكاء الآلى كالانتباه والملاحظة والتصور والتذكر والتخيل وتناول الأعمال اليدوية المختلفة .

ولذلك نجد أن الشخص الذى يحصل على درجات مرتفعة فى اختبارات

الذكاء نجده غالبا سلوكه يتميز بالتوافق والنجاح أما الشخص الذى يحصل على درجات منخفضة فى اختبارات الذكاء فنجده غالبا سلوكه متميز بعدم التوافق وعدم الانسجام والفشل .

وهذه تعتبر من نتائج الدراسات التى أجريت عن العلاقة بين ذكاء الفرد وسلوكه أى أنه توجد علاقة بين الذكاء والسلوك .

وبعد العرض السابق والتى أوضحنا فيه معنى السلوك ومكوناته ومحدداته وخصائصه ونظرياته التى تفسر السلوك ، وغير ذلك من الجوانب التى تتصل بالسلوك وتفسره نستعرض فيما يلى بناء على ما سبق الفروق الفردية فى الناحية السلوكية .

الفروق الفردية فى الناحية السلوكية

إنه من المحتمل أن يتحدد نمو السلوك تبعاً للخصائص التكوينية للفرد نفسه وتعطينا التغيرات التى تحدث فى السلوك نتيجة للتغير فى العمر صورة لهذا التحديد فمثلا تظل وظائف سلوكية معينة غير خاضعة للتدريب الا اذا بلغ الطفل مستوى خاص من النمو الحسى والعصبى والعقلى . وبالمثل فان التدهور الجسمى فى سن الشيخوخة يعمل غالبا على الحد من كثير من أنواع النشاط لدى الفرد . فالفروق الجسمية بين الأفراد قد تسهم فى احداث ما يلاحظ من فروق بين الأفراد فى السلوك، ومن الواضح أن العاهات الجسمية الشديدة مثلا يمكن أن تعوق الفرد إلى درجة تجعل حتى التدريب الخاص لا يصل به إلى المستوى العادى .

كما يمكن لأنواع القصور أو التمييز المختلفة أن تؤثر فى الخصائص النفسية للفرد فهناك نماذج معينة من الضعف العقلى الناتج عن نقص فى التكوين تمنع نمو السلوك من الوصول إلى المستوى العادى بالرغم من حدوث الاستثارة . إلا أنه ما ينبغى ملاحظة تماما أن العوامل الجسمية التى ثبت أثرها على النمو السلوكى تكون بمثابة شرط ضرورى لكنه ليس الشرط الوحيد لحدوث هذا النمو . أى أن وجود العامل العضوى لا يحدد فى ذاته السلوك ولكنه ببساطة يجعل من الممكن ظهور نماذج سلوكية معينة إذا ما وجد الاستثارة المناسبة .

علاوة على هذا فإنه من المحتمل أن تكون الحدود التى يفرضها تكوين الجسم أو تركيبه أقل أثرا مما نتصوره عادة . نظراً لأن الأفراد نادراً ما يحققون درجة النمو التى تؤهلها لهم قدراتهم ، فالظروف الفسيولوجية والبيولوجية يمكن أن ينظر إليها باعتبارها عوامل مشاركة أو مساهمة ، فى الاستجابات النفسية . أكثر من اعتبارها عوامل محددة للوظائف السلوكية . وتعتبر العلاقة بين الخصائص التكوينية والخصائص النفسية ذات أهمية بالغة خاصة للتحليل الخاص بعلاقة العوامل الوراثية بالسلوك .ففى الحدود التى تؤثر بها العوامل الوراثية فى السلوك فان هذا التأثير ينبغى أن يتم عن طريق تحكمها فى النمو التكوينى للفرد ، فمن الواضح أن الفرد لا ، يرث ، الوظائف كما هى كما أن دراسة العلاقة بين الفروق السلوكية والفروق فى الظروف الجسمية تعتبر خطوة ضرورية أولى للتعرف على دور الوراثة فى السلوك .

وهناك عدد من النماذج المألوفة للاضطراب العقلى والانفعالى ويمكن إرجاعها مباشرة إلى اضطرابات غدية كبيرة أو تدهور فى الأنسجة أو إلى أثر المخدرات أو إصابة الجهاز العصبى وما شابه ذلك من الظروف الشاذة .

والمظاهر السلوكية المصاحبة لحالات الشلل الخفيف وحالات الهياج الذهنى يمكن إرجاعها بوضوح إلى الاصابة بالزهرى وإلى الكحول وإلى النقص فى الإفرازات الغدة الدرقية على التوالى . وهناك صور أخرى يمكن ذكرها فى هذا الشأن .

ويمكن هنا أن نتساءل كيف ترتبط الفروق الفردية فى السلوك بالفروق الفردية فى الظروف أو الحالة الجسمية ؟

أولاً : ينبغى أن ندرك أن حالات مرضية معينة للكائن الحى لها مظاهر جسمية مميزة كما ان لها أعراضا سلوكية . ولكننا لا نستطيع أن نعمم ما نلاحظ من الارتباطات الموجودة بهذه الحالات الشاذة إلى ارتباطات محتملة داخل المستويات العادية . ولكى نأخذ صورة واضحة متطرفة يمكننا القول بأن الشخص الذى بترت ساقاه عند الركبة غالبا ما يكون غير قادر على لعب الكرة . ولا يتبع هذا أن يكون طول الساق مرتبطا

بالقدرة على اللعب . وان ذوى السيقان الطويلة يكونون أقدر على اللعب

وإذا تركنا جانباً العلاقات التى أوضحت فى الحالات المرضية، فإننا نجد أن ما عرف مباشرة عن أثر العوامل الفسيولوجية فى نمو السلوك لازال قليلا بالرغم من أن ما أمكن استنتاجه بعد كثير . فمثلا لازالت هناك موضوعات كثيرة محتاجة للدراسة فى ميدان الغدد الصماء .

ثانياً : وفى كثير من البحوث الخاصة بالكشف عن العلاقة بين الظروف الجسمية والذكاء كانت الفروق فى المستويات الاجتماعية والاقتصادية مسئولة عن وجود أية ارتباطات إيجابية فالطفل الذى ينتمى الى بيئة منزلية ذات مستوى مرتفع تكون لديه الفرصة الأحسن للنمو العقلى وسوف يتلقى قدر أكبر من العناية الجسمية وسوف ينشأ فى ظروف صحية طيبة ويكون أقل عرضة للأمراض عن ذلك الطفل الذى ينشأ فى بيئة فقيرة أو فى منطقة ريفية فقيرة .

وتقع التفسيرات التى اقترحت لتفسير العلاقة الحقيقية بين الخصائص السلوكية والظروف الجسمية فى أربعة نماذج رئيسية :

١ - النظرية التكوينية للتفوق والنقص :

وهذه النظرية تقوم على أن الأشياء الطيبة تتفق مع بعضها وأن الفرد الذى يكون متفوقا فى ناحية يميل لأن يكون متفوقاً فى نواح أخرى . وأن أى ارتباط إيجابى بين السمات النفسية والجسمية يرجع الى « صفة عامة للكائن الحى » التى تؤثر على كل أشكال النمو .

٢ - النموذج الثانى للعلاقة يمكن وصفه على أنه «نقص سلوكى مباشر»

وهذا يمكن تصوره بدراسة الحالات المرضية المتطرفة مثل حالات صغر المخ لدى المعتوه ذوى الرأس الصغير وكذا حالات النقص فى نشاط الغدة الدرقية لدى حالات ضعف العقل الغدى ، ففى هذه الحالات لا يتوفر الحد الأدنى للمستلزمات اللازمة للتكوين التى يتطلبها النمو الطبيعى إلا أنه قد أصبح أكثر وضوحا أن الضبط المباشر للسلوك

عن طريق العوامل التكوينية بين الغالبية العظمى من الأفراد ليس جامدا تماما . فالحالة التكوينية لغالبية الأفراد تسمح بحرية كبيرة جداً فى نمو السلوك .

٣- وهناك تفسير آخر يقوم على **التخلف غير مباشر** فى السلوك الناتج عن نفس عضوى ويمكن أن يأخذ هذا صورا عديدة .

ففى حالات عاهات الحواس هناك حافز جزئى يدفع بالفرد إلى العزلة . كما أن سوء التغذية وضعف الصحة وغيرها من عوامل فسيولوجية عامة تعمل على التقليل من القدرة على احتمال وزيادة القابلية للتعب وتأثر النمو العقلى وبصفة عامة تعمل على تأخير النمو العقلى لدرجة معينة .

وتعمل الإصابات أو المتاعب الجسمية أيضاً على إثارة القلق وبالتالى تجعل من الصعب على الطفل أن يركز فى العمل المدرسى أو غيره من الأعمال . وأخيراً فإن وجود عاهات بارزه فى الوجه أو الجمجمة أو الجسم قد تؤثر على النمو العقلى والانفعال بسبب ما اكتسبه من معنى اجتماعى خاص وما يحيط بمثل هذه العاهات ، وتؤدى النتائج الاجتماعية لضعف الصحة والإصابات الحسية إلى آثار مشابهة على السلوك .

٤- النموذج الرابع هو النموذج السيكوسوماتى :

حيث ينظر منطقيا إلى الحالة النفسية كعامل سابق يتبعه أو ينتج عنه الاضطرابات الفسيولوجية .

ونجد أمثلة لذلك فى التغيرات فى الدورة الدموية وغيرها من التغيرات الداخلية التى تحدث خلال الاضطرابات الانفعالية ومن الممكن أن نفترض أن الإثارة المستمرة لهذه التفاعلات الفسيولوجية قد تؤدى إلى استمرار الاضطرابات الوظيفية كما يبدو فى الحالات التى تنتهى بقرحة المعدة .